السويس مدينة الأبطال

محمد الشافعى

السويس مدينة الأبطال



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الخاصة)

السويس مدينة الأبطال

محمد الشافعى

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان: محمود الهندى

المشرف العام:

د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

الإهداء....

إلى ســـامح

ابنى الرضيع

عندما تكبر يا ولدى...

لا تصدق أبدا

أن (القدوة غائبة) فى هذا الوطن

لأنها فقط (مغيبة)

ولتقرأ هذا الكتاب

لتتأكد أن من يجب أن (نقتدى) بهم كثيرون

ولكن (الأيادى الخفية)

تهيل عليهم (ستائر النسيان)

ولتشهد يا ولدى أنى قد حاولت

(تمزيق) بعض هذه (الستائر)

أبوك

محمد الشافعى

مدينة الأبطال.. معين لا ينضب

إن حرب السادس من أكتوبر تمثل صورة حية لصلابة الجندى المصرى، وتكاتف أبناء مصر الشرفاء فى صد الهجمات الشرسة للعدوان، وقد أظهرت هذه الحرب روح النضال التى كانت بمثابة الفتيل الذى أشعل نفوس الجنود وأبطال المقاومة الشعبية.

إن روح انتصار السادس من أكتوبر مازالت الدافع لكل توجهات الإعمار والبناء فى مختلف البنيات الأساسية، تحت قيادة الرئيس **محمد حسنى مبارك** ، صاحب الضربة الجوية الأولى ومازالت الانتصارات - سياسية واقتصادية واجتماعية - تتوالى مسهمة في تحقيق الرخاء والعدل والانسانية كرد فعل لبطولات هذا الشعب المعطاء الذى كافح وناضل واستشهد أبناؤه دفاعاً عن الحق حتى حقق النصر العظيم.

«وما النصر إلا من عند الله» صدق الله العظيم

وعلى الله قصد سبيل

حسين مهران

رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة

المقدمة

يرجع جزء كبير من (الأزمة الاجتماعية) التى نعانى منها منذ سنوات إلى (غـيـاب القدوة) فقد استطاعت التغييرات الإقتصادية والإجتماعية الحادة التى حدثت خلال هذه السنوات إحداث نوع من (الإنقلاب القيمى) فغابت أو ماتت بعض القيم النبيلة التى كانت تسود المجتمع المصرى مثل الإيثار وإنكار الذات وغوث المحتاج والحب والإحترام الذى كان يربط بين الناس جميعا. وهذا لا يعنى أن مصر كانت (يوتوبيا) أو (مدينة فاضلة) ولكنه يعنى أن الخير كان هو الأكثر والأشهر . وبعد أن غابت أو غُيِّبَت هذه القيم أصبحت الساحة مهيئة الإنتشار لعديد من القيم السلبية مثل اللامبالاة و(الأنا مالية) ومحاولة الكسب السريع عن أى طريق أى أنها قيم ترسخ الأنانية وحب الذات (فأنا وبعدى الطوفان)، وقد أفرزت هذه القيم السلبية العديد من الظواهر الهدامة (تجارة المخدرات - التطرف والإرهاب - نهب البنوك - إستغلال النفوذ) وغيرها من الظواهر الهدامة التى تعمل على تحطيم (البنية الإنسانية الاساسية) للمجتمع المصرى، فى محاولة لجعله مجتمعا هشا لا يقوى على المواجهة والتصادم والتنافس مع الآخر) ولكن المجتمع المصرى بتركيبته الإنسانية الفذة والعبقرية يملك الكثير من (عناصر التماسك)

التى تجعل من الصعب تحطيمه أو هدمه . ومع ذلك فقد تتمكن هذه المحاولات المشبوهة من (إضعافه) وهذه المحاولات ليست من تدبير (قوى الهدم الداخلى) لأن هذه القوى مجرد (أدوات مأجورة) فى أيدى قوى الهدم العملاقة فى الخارج تلك القوى التى تعمل منذ مئات السنين على ألا تصبح مصر (قوة عملاقة). ولكى نتأكد من هذه فعلينا أن نقرأ التاريخ وخاصة تاريخ مصر الحديث لنرى ماذا فعلت هذه (القوى الهدامة) في تجارب على بك الكبير- محمد على باشا - جمال عبد الناصر.

وقد كانت القدوة من أهم (عناصر التماسك) فى المجتمع المصرى، فعلى مر التاريخ نجد دوما القدوة التى يتكىء عليها المصريون ويتخذون منها رمزا ونبراساً للسير معه وبه أو للسير على هداه.

ومن المؤكد أن القدوة ليست حكرا على أصحاب الجاه والسلطان فكل إنسان يمارس مسئولياته بصدق وأمانة وتفان هو قدوة يجب أن نقتدى بها صغر موقعه أم كبر. ولكن القدر دوما (ينتخب) البعض منا ليصبحوا (إستثناءً) فى ظروف استثنائية وذلك بما يقدمونه من أعمال عظيمة وجليلة لا يقدر عليها إلا أولوا العزم من البشر. أو لنقل إن هؤلاء البعض هم الذين (يختارون قدرهم) من خلال إقدامهم على تلك الأعمال العظيمة والجليلة فى سبيل المثل العليا ورغم إحترامنا للتاريخ

الصادق إلا أننا نأخذ عليه أنه عادة لا يؤرخ إلا لأصحاب الجاه والسلطان فينحاز لهم على حساب العامة من الناس الذين يمثلون (الوقود) الحقيقى لحركة التاريخ أو لنقل إنهم (ملح الأرض) وبدونهم تفسد وعادة ما يختصر التاريخ كل عصر وكل معركة فى اسم الزعيم أو القائد فنجد مثلا الإسكندر الأكبر – يوليوس قيصر – نابليون بونابرت – جمال عبد الناصر – الخ.

وبالطبع نحن لا نقلل من الدور الذى يلعبه الزعماء والقادة. فالعامة عادة لا يتحركون إلا بزعيم أو قائد. ولكن هذا الزعيم أو القائد مهما كانت أفكاره وخططه فإنها لن تصبح واقعا إلا من خلال هؤلاء العامة. وبعضهم يقوم كما قلنا بدور استثنائى فى ظروف استثنائية.

ونخلص من هذا التمهيد الذى طال بعض الشىء والذى نعتقد أنه ليس بعيدا عن موضوع كتابنا هذا إلى أن الدور الاستثنائى الذى يقوم به (بعض العامة) من الممكن أن يصبح نبراسا عملاقا لكل العامة ومن الممكن أن يصبح هؤلاء البعض (قدوة عظيمة) لكل العامة فإذا كان هؤلاء العامة يقولون عادة وأين نحن من الإسكندر أو نابليون أو عبد الناصر. فإننا عندما نبرز لهم الأعمال الاستثنائية العظيمة التى قام بها (البعض منهم). فإننا نؤكد لهم أن هذه الأعمال ليست (مستحيلة) ولكنها تقع دوما فى حدود (الممكن).

ومن هذا المنطلق تأتى محاولتنا لتقديم أبطال السويس العظماء هؤلاء الأبطال البسطاء الذين اختاروا قدرهم وحملوا أرواحهم على أكفهم وباعوا أنفسهم فى سبيل الله والوطن (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) هؤلاء الأبطال الذين جعلوا من مدينتهم مقبرة لليهود فى ٢٤ أكتوبر ٧٣. وإذا كان التاريخ الحديث يقدم لنا بعض المدن التى استعصت على مهاجميها مثل عكا التى استعصت على نابليون بونابرت وستالنجراد التى استعصت على هتلر فى الحرب العالمية الثانية إلا أن تجربة السويس ستظل ودون أدنى تحيز(درة التاج) وسط كل عمليات الكفاح الوطنى ضد المعتدين. وإذا كانت مدينة (وارسو) هى أكثر المدن الأوروبية التى تعرضت للدمار أثناء الحرب العالمية الثانية فإن السويس قد تعرضت للتدمير على يد اليهود أكثر مما تعرضت له وارسو على يد هتلر. ويأتى تفرد تجربة السويس من أنها مدينة تضرب بجذور عملاقة فى عمق التاريخ الإنسانى فقد كانت على مر العصور مدينة ذات أهمية. خاصة لأنها تمثل دوماً البوابة الشرقية لمصر. وقد ازدادت أهميتها بعد حفر قناة السويس ، كما أنها مدينة تمثل (نماذج منتخبة) من كل محافظات مصر فمعظم سكانها من المهجرين من المحافظات الأخرى وبعد ثورة يوليو أصبحت السويس بما تضمه من ثروات ومشروعات عملاقة مدينة ثرية تمثل العمود

الفقرى للإقتصاد المصرى. ولذلك كانت صدمة المدينة وسكانها أعظم من أى صدمة أخرى عندما حدثت نكسة يونيه ٦٧. وأصبحت هذه المدينة الباسلة فى مواجهة مباشرة مع قوات اليهود التى أصبحت على بعد ١٨٠متراً فقط (هى عرض مجرى القناة) من بور توفيق. وأصبحت السويس هدفا سهلاً لمدافع اليهود وكان لزاما على القيادة أن تقوم بتهجير سكان المدينة إلى المحافظات الأخرى، ليعيش هؤلاء السكان تجربة التهجير الثانية في حياتهم وهى بالطبع أصعب من التجربة الأولى. ولكن شباب السويس لم تفقده الصدمة توازنه، فبدأ على الفور مقاومة العدو بكل طاقاته ويكفى أن أول أسرى من العدو بعد النكسة قام بأسرهم شباب السويس فى مجرى القناة يوم ١٤ يوليه ٦٧. وقد أوحى شباب السويس إلى قيادات المخابرات المصرية بتكوين منظمة فدائية على غرار منظمة التحرير الفلسطينية. فكانت منظمة سيناء العربية إحدى الصفحات المضيئة فى تاريخ النضال المصرى. والتى بدأت بشباب السويس ،هؤلاء الأبطال الذين قاموا بأعمال فدائية خارقة طوال فترة حرب الإستنزاف ويكفى أنهم قاموا بأول عملية هجوم فى وضح النهار ضد قوات العدو على الضفة الشرقية وزرعوا العلم المصرى على أرض سيناء . لتصبح هذه العملية وقتها حديث الصحافة ووكالات الأنباء العالمية. ولم تقتصر بطولات هؤلاء

الفدائيين على تلك العمليات العظيمة. بل امتدت لتشمل (الرضى بالظلم) فقد آمنوا بأن الرضى بالظلم قد يصبح واجبا وطنيا وقوميا فى سبيل المصالح بكل الطرق. ورغم أن الجيش قد قام بأعمال عظيمة ورائعة واسطورية طوال حرب الإستنزاف إلا أن عمليات فدائيى منظمة سيناء قد نسبت أيضا للقوات الخاصة المصرية كما كتبت الصحف فى ذلك الوقت ، ولكن الظلم لا يمكن أن يصبح قدراً أبديا لذلك وجد هؤلاء الأبطال من يسجل تضحياتهم . وعندما تم وقف إطلاق النار فى عام ٧٠ استمر أبطال منظمة سيناء فى عمليات الاستطلاع وزرع الألغام على الضفة الشرقية للقناة وبعد بداية حرب اكتوبر العظيمة أراد القدر أن يكون لأبطال السويس دور عظيم سينحنى التاريخ أمامه خاشعا فقد حدثت الثغرة فى مساء يوم ١٥ أكتوبر وارتبكت بعض القيادات حتى إتسعت الثغرة وأصبح من المستحيل وقفها وتقدمت قوات العدو حتى أصبحت على أبواب السويس ليلة ٢٣ اكتوبر فحمل أبطال السويس أرواحهم على أكفهم وخرجوا لمقاومة هذا المعتدى المغرور الذى كان يزعم أن جيشه لا يقهر وجعلوا من مدينتهم الطاهرة مقبرة اليهود فقتلوا وجرحوا منهم الكثير وفر الباقون مذعورين فى هلع ورعب وكما كتب اليهود أنفسهم، فإن جرحاهم كانوا يصرخون فى الشوارع فى هلع وذعر (أماه أريد أن أعيش) واستشهد بعض

أبطال السويس بعد أن حفروا اسماءهم بحروف من نور فى ذاكرة التاريخ.

وسوف نقدم من خلال صفحات هذا الكتاب بعض (النماذج) العظيمة لأبطال السويس ونؤكد على أنها (بعض النماذج) لأن كل من كان داخل السويس يوم ٢٤ اكتوبر كان بطلا وعظيما. ونرجو أن يقدم هذا الكتاب لكل الأجيال الجديدة (القدوة) التى نبحث عنها والتى يجب أن نقتدى بها. ونرجو أن يقدم أيضا بعض (رد الجميل) لهؤلاء الأبطال العظماء الذين قدموا الكثير والكثير ولم يجدوا إلا التجاهل والنكران ولكن عزاءهم أنهم قدموا ما قدموه دون أن ينتظروا من أحد (جزاء ولا شكورا) ولكنهم قدموه فى سبيل الله والوطن.

وقبل أن ننتهى من هذه المقدمة نجد لزاما علينا أن نقدم الشكر لكل الذين ساهموا بشكل مباشر أو غير مباشر فى أن يخرج هذا الجهد إلى النور.

فالشكر بداية للصديق العزيز الكاتب الواعى هشام السلامونى فقد كانت مسرحيته الرائعة (كان يوم صعب جدا) والتى كتبها عن تجربة السويس يوم ٢٤ اكتوبر ٧٣ تخليدا للشهداء والأبطال الذين تم السطو على بطولاتهم لقد كانت مسرحية هشام السلامونى، والتى بكيت كثيرا عندما شاهدتها على المسرح دافعا قويا لمحاولة رد بعض الجميل لهؤلاء

الشهداء والأبطال.

والشكر كل الشكر لكل ابطال السويس الأحياء (أطال الله في أعمارهم) الذين احتضنوني وساندوني رغم مشاعر الاحباط التي يعاني منها معظمهم في ظل التجاهل الذي يعيشون فيه فمن يصدق أن السويس ليس بها شارع أو ميدان يحمل أي اسم لشهيد أو بطل من أبطال السويس العظماء...!!

والشكر الخاص للقيادات المستنيرة في الهيئة العامة لقصور الثقافة والتي تقوم بجهد تنويري عظيم سوف يكون له أكبر الأثر في حياتنا الثقافية.

وفي النهاية أقدم شكري للسيدة زوجتي على تعاونها الصادق ودعمها المخلص والدائم لي.

محمد الشافعي

كفر الشرفا القبلي

١٩٩٦/٨/١٠

الفصل الأول
السويس ... الموقع والتاريخ

تنشأ المدن ذات الأصول الحضارية وتنمو على موقع طبيعي متميز كأن تطل على بحر أو تتصدر قناة ملاحية أو تتربع على واد مما يجعلها في إحتكاك دائم مع حضارات العالم المختلفة. ولذلك فقد كان من الطبيعي أن تكون لمصر في كل العصور مدينة عند الطرف الشمالي لخليج السويس وقد تحالفت عوامل الموقع الجغرافي والموضع والوظيفة في ربط مصير هذه المدينة التي تحركت عبر التاريخ فوق خمسين كيلومترا من قرب الاسماعيلية شمالا حتى السويس الحالية - بالقناة الصناعية التي أوصلت خليج السويس بالنيل أو أحد فروعه في بعض فترات متفاوتة من تاريخ مصر الطويل، ويؤكد المؤرخ (جيمس برستد) أن السويس كانت موجودة منذ فجر التاريخ ومن قبل عصر الأسرات . وقد أثبتت حفريات عالم الآثار الفرنسي (برنارد بروبير) أن الأسرتين الفرعونيتين الخامسة والسادسة من الدولة القديمة (٢٥٦٣ - ٢٣٠٠ ق.م) قد أقامتا إستحكامات في قلعة السويس لصد المغيرين . وأثناء هاتين الأسرتين كانت السويس تسمى (سيكوت) عند تل المسخوطة حاليا ١٧ كم من الاسماعيلية وكانت ميناءً على برزخ السويس الممتد هناك في تلك الحقبة. ثم أصبح اسمها (بيتوم) خلال

حكم الأسرتين ١٩، ٢٢ وأصبحت عاصمة للإقليم الثامن من أقاليم الوجه البحرى وكان موقعها فى تلك الفترة قرب (تل رطابة) بجوار القصاصين . وكان ملك مصر فى تلك الفترة يدعى (يو – سوتيس) أو (يو – سنايس) وهذا هو الاسم الذى اشتق منه (على الأرجح) اسم السويس وقد اتخذها هذا الملك قاعدة لعملياته الحربية لتأمين مناجم سيناء ولردع الغزاة وترك اسمه على سبيل التذكار التاريخى. وأثناء حكم اليونانيين مصر أطلق على السويس اسم (هيروبوليس) ومعناها (مدينة الأبطال) حيث كان لأهل السويس موقف بطولى فى صد هجمات الهكسوس مما اضطر الغزاة إلى تغيير اتجاه دخولهم إلى مصر فصعدوا شمالا نحو الدلتا ومن يومها سميت السويس (مدينة الأبطال) .

وقد تغير اسم المدينة مرة أخرى ليصبح (مكيزما) ومعناها نهاية الطريق باليونانية. وكان ذلك فى عهد بطليموس الثانى الذى أنشأ مدينة (أرسينوى) على ضفاف بحيرة التمساح تخليدا لذكرى شقيقته التى أحبها وتزوجها حيث أصبح هذا الاسم الجديد للسويس فى ذلك الوقت. كما أنشأ اليونانيون ضاحية جديدة سميت (قبيزت) أو كبريت حاليا. ومدينة (همبروت) أو عجرود حاليا. وعندما حكمت كليوباترا مصر فى العصر اليونانى المتأخر أطلق على المدينة اسم (كليوباتريس) نسبة لهذه الملكة المصرية.

وفى العصر الرومانى أطلق على المدينة اسم (هيرو – أون) أو (هيرون – بوليس) ومعناها مدينة الشمس وفى العصر البيزنطى أعيد اسم (كليزما) مرة أخرى حتى جاء العرب وحرفوه إلى القلزم بل واطلقوا الاسم على البحر الأحمر ليصبح (بحر القلزم).

وفى القرن العاشر الميلادى أنشأ الفاطميون ضاحية جديدة جنوب غرب منطقة القلزم واطلق عليها اسم السويس وما لبثت هذه الضاحية حتى امتدت لتضم إليها القلزم القديمة وحلت محلها وأصبحت ميناء مصر على البحر الأحمر وأصبح الاسم علما للمدينة حتى اليوم.

سكان السويس فى الأزمنة القديمة
العصر الفرعونى

كانت المكونات البشرية لشعب السويس والتى عاشت فى (سيكوت) الفرعونية على ضفاف بحيرة التمساح من أصول فرعونية خالصة وذلك منذ ٤٥٠٠ وقبل حكم الأسرتين الخامسة والسادسة من الدولة القديمة ومنذ عهد بيبى الأول والذى انطلقت قواته من قلعة السويس الشهيرة إلى الشرق على رأس خليج السويس. وقد أقام شعب السويس فى مدينة (بيثوم) وموقعها الحالى عند تل الرطابة قرب القصاصين . وقد جاء هؤلاء السكان من الجزيرة العربية عن طريق قنا - قفط - القصير وذلك عبر مسار طريق الآلهة كما سماه الفراعنة لإعتقادهم بأنه الطريق الذى جاء منه أجدادهم الأول منذ ١٤ ألف سنة (العصر الحجرى الحديث) . وقد كان برزخ السويس أجد مداخل الانسان الأول إلى مصر كما كان نشاط السويس الدفاعى والحضارى منذ أقدم العصور البشرية وفى عصر الرعامسة تم جلب عناصر من أصل يهودى للعمل فى خدمة شعب السويس من خلال نظام السخرة وذلك فى جزيرة تل اليهودية المواجهة لشارع النبى موسى بجوار مجرى قناة السويس الحالى.

العصر اليونانى

أدى إنسحاب برزخ السويس جنوبا وقدوم اليونانيين إلى مصر إلى بقاء جانب من أهل السويس فى موقع مدينتهم الفرعونية الأصل عند التخوم الشرقية وفضلوا الاستمرار فى فلاحة الأرض والرعى عازفين عن تغيير مواقعهم أو تعديل معيشتهم أو ترك أعمالهم إلى مهن أخرى ومع ذلك فقد آثر البعض تغيير محل الإقامة وتعديل طريقة المعيشة فانتقلوا من (سيكوت) الفرعونية إلى (أرسنوى) التى أنشأها بطليموس الثانى على ضفاف بحيرة التمساح وقد أعطى هذا البعض دفعة حضارية للمنطقة تأثر بها اليونانيون . وبشكل عام فإن الإغريق لم يختلطوا مع شعب السويس إلا فى بؤرات المدن وحدها عند أرسينوى وقبيزت وهجروت وقد كان من نتيجة إنشاء الإغريق لهجروت وقبيزت أن امتد العمران لمناطق أخرى ونشأت مجتمعات جديدة ترتب عليها وفود سكان جدد مما أدى إلى قيام (فيليبدوس) الحاكم البطلمى لمصر بتوصيل مياه الترعة الحلوة لمنطقة كليزما إلى تحويل ميناء السويس إلى ميناء عالمى.

العصر الرومانى

بعد هزيمة كليوباترا إحتل الرومان قلعة القلزم وأطلقوا على السويس إسم (هيروأون) أى بطلة الشمس وكان من نتيجة إقامة

الرومان مستودعات للتجارة عند منطقة الميناء ، لجوء جانب من أهل السويس إلى تغيير طريقة معيشتهم وذلك بالعمل فى الوكالات التجارية وعلى ظهور السفن كبحارة فى حين استمر أغلب شعب السويس فى المناطق الريفية ليشتغلوا بحرفة الزراعة وقد سار الرومان على منوال الإغريق فى الإختلاط بالسكان فى بؤر المدن فقط.

العصر المسيحى

بدخول المسيحية لمصر وبداية إضطهاد الرومان للمسيحيين لم يجد معتنقوا الدين الجديد سوى السويس للإحتماء بها هرباً من هذا الإضطهاد فأنشأوا أول دير للمسيحيين فى العالم وقد أقيم فى جزيرة اليهودية وهو أقدم من دير الانبابولا ومن دير القديس انطونيوس وفى نهاية العصر المسيحى جاءت موجات سامية واتخذت من سيناء وكليزما مقرا لها وأيضا على امتداد برزخ السويس.

الفتح الاسلامى

بعد الفتح الاسلامى وتقاطر القبائل النازحة لمصر جاء فريق منهم إلى السويس من القبائل القرشية وتوالت هذه القبائل فى العهدين الأموى والعباسى بعد ذلك. ومع مجىء الفاطميين شارك رجال من بنى سليم وهلال أهل السويس فى القتال ضد

القرامطة.

كانت السويس معبراً للقبائل العربية وقد جعلوا منها محطات فى طرقهم التجارية وأيضا موطن استقرار لهم. وقد حدث إختلاط جنسى وكان هذا الاختلاط فى الحقيقة زواجا من أقارب بعيدين لأن العنصر العربى من أصل قاعدى واحد مشترك مع العنصر المصرى فهم أقارب جنسيا منذ ما قبل الإسلام.

وقد شارك أهل السويس إخوانهم العرب فى عمليات البناء كما عملوا فى تلك الفترة كملاحين في قناة أمير المؤمنين واستمر ذلك حتى ولاية الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور. وقد كانت السويس ولازالت معبرا بشريا لضيوف الرحمن فى رحلة الحج إلى الأراضى المقدسة.

مع بداية حكم الفاطميين استقر فى السويس بعض الحجاج المغاربة بعد عودتهم من رحلة الحج وتزوجوا من سويسيات وآثروا الارتباط بالسويس لقربها من الأراضى المقدسة.

التطور الإنسانى والإقتصادى لمدينة السويس

مع بداية القرن الحادى عشر أنشأ التجار قاعدة جديدة لهم فى السويس بعد أن توفرت المياه وبذلك حل اسم السويس محل القلزم فى المعاملات التجارية وقد أشارت بردية (كوم إشقاو) إلى إزدهار صناعة السفن فى القلزم كما اشتهرت هذه الصناعة أكثر مع بداية العصر الإسلامى ونتيجة لمرور طريق المحمل أو

درب الحج بمنطقة السويس فقد أعطى ذلك أهمية خاصة للمدينة وزادت هذه الأهمية نتيجة إستخدام طرق السويس للوصول إلى جبل موسى فى الوادى المقدس طوى... وقد عمل جانب من أهل السويس فى خدمة قوافل ألحج عبر طريق (الكوبرى – نخل – إيلات) وطريق (الشط – نخل– العقبة) وكانت السويس تتلقى كميات الغلال المخصصة لفقراء الحجاز حيث كانت ترسل إليها من القاهرة على ظهور الجمال عبر الطريق الصحراوى فى لعصر العثمانى، وكان يطلق على قوة الحراسة المرافقة صطلاح عثمانى (جمّيليان) ورئيس القوة اسمه (قافلة باشى) ومع القافلة كان يخرج المحمل والكسوة الشريفة وكذلك (الصرة) وهى عبارة عن الأموال المرصودة على الأماكن المقدسة وفقرائها وكان يرأس القافلة أمير الحج ويعاونه سر دار الحج لحماية القافلة والمحمل.

وقد استعان صلاح الدين الأيوبى بخبرات أهل السويس فى بناء السفن التى كانوا يصنعونها من أشجار السنط التى كانت تنمو حول السويس وسيناء كما إزدهرت السويس فى أوائل عهد المماليك وكانت قوافل الإبل (الجمال) تسير بدون إنقطاع من القاهرة إلى السويس.

قبل حفر ترعة الإسماعيلية عام ١٨٦٣ كانت السويس تشرب من آبار عيون موسى وعجرود ثم أصبحت الحياة فى السويس ولازالت منذ القرن الماضى من صنع ترعة الاسماعيلية أكثر من

كونها نتيجة حفر قناة السويس وإن كانت المشكلة قبل حفر الترعة قد حلت بشكل جزئى بعد مد خط سكة حديد السويس – القاهرة حيث كانت فناطيس المياه ترد بالقطار من القاهرة كما كان لإنشاء مكثف امياه البحر عام ١٨٦٦ أثرا فى حل المشكلة التى حلت بشكل كامل بعد إنشاء ترعة الاسماعيلية.

إزدهرت الحياة الإقتصادية فى السويس بعد مرور قوافل التوابل القادمة من الهند والتى كانت تمر بالمدينة فى العصر المملوكى حيث كانت البضائع تنزل فى القصير ثم إلى قفط وتواصل رحلتها حتى السويس ثم الفرما ثم إلى أوروبا.

بعد افتتاح قناة السويس وفد للمدينة عناصر جديدة من صعيد مصر للعمل فى الميناء كما سبق أن وفد أجدادهم الأول فى العصر الفرعونى وعند الفتح الاسلامى مما زاد فى عدد السكان مع اضطراد النمو العمرانى للمدينة الذى زاد أيضا بفعل ترعة الإسماعيلية التى أوجدت أرضا زراعية وفرت للسويس احتياجاتها من الخضر والفاكهة، كما أن إنشاء خط سكة حديد السويس – الزقازيق – القاهرة والذى اعتبر بديلا لخط القاهرة – السويس الذى أزيل عام ١٨٧٩ مما أدى إلى ربط السويس بالاسماعيلية ومدن شرق الدلتا وساعد على نمو ريف السويس من الشرق وحتى كبريت وجنيفة.

توفرت فرص عمل كثيرة لأبناء السويس بعد إقامة شركات البترول والأسمدة فى المدينة، ومع بداية الحرب العالمية الأولى

حدث نوع من الإنكماش الإقتصادى فى المدينة وذلك بعد أن أصبح حجاج شمال افريقيا يتجهون إلي جدة مباشرة بعد أن كانوا يمرون أولا بالسويس . فعملت الحكومة المصرية على منح الأراض الزراعية للأهالى مع إعفائهم من الضرائب مما أعاد الإزدهار للمدينة مرة أخرى. ثم أدى إنشاء الثلاجات والحجر الصحى والجمرك والبلدية وإنتعاش الحركة الملاحية فى ميناء السويس إلى جذب عناصر جديدة من الأجانب حيث بلغ عددهم السويس إلى ٣٣٠٠ قبل الحرب العالمية الثانية وكان أغلبهم اليونانيين والإيطاليين والأروام.

وبعد إنشاء حوض ابراهيم تطلب الأمر إقامة ضاحية جديدة لى ناتج حفر القناة أطلق عليها بور توفيق وقد تم ردم المياه التى تفصلها عن السويس بإستخدام الصخور وأحجار الدوليميت . كما تم مد شريطين للسكة الحديد فوق هذا الجسر وحتى ميناء بور توفيق فأدى إلى رواج الحالة التجارية فى السويس.

إنكمشت الحالة الإقتصادية بالمدينة بعد إكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وعادت للإزدهار مرة أخرى بعد أن أصدر على بك الكبير فى عام ١٧٧١ أوامره إلى أحد معاونيه ويدعى حسن البراوى بتأمين التجارة عبر البحر الأحمر.

وعند مجيء العثمانين إلى مصر إشتغل أهل السويس مرة أخرى فى صناعة بناء السفن كما واصل أهل المدينة نفس الدور

فى عهد محمد على. وقد انتعش ميناء السويس بعد إفتتاح الطريق البرى (الأوفر لاند - روث) وقد عمل جانب من أهل المدينة فى هذا النشاط بتقديم الخدمات المختلفة منذ وصول المسافرين إلى الميناء وحتى وصولهم إلى القاهرة. وعمل جانب منهم وكلاء لدول الهند الصينية وبعض الدول الاوروبية كما عمل فريق من أهل المدينة كمرشدين وقباطنة للسفن فى خليج السويس والبحر الأحمر.

قناة السويس .. الحلم والتاريخ

كان مشروع ربط البحرين الأبيض والأحمر بقناة فيما بينهما حلماً كبيراً يضرب بجذوره فى عمق التاريخ منذ عهد الفراعنة ، وإذا رجعنا إلى العهد الفرعونى نجد أن التجارة الخارجية لمصر كانت مزدهرة تماما فى ذلك العهد حيث اتصل الفراعنة بدول البحر المتوسط وتبادلوا معها التجارة فقد سارت سفن الملك (ساخورع) من الأسرة الخامسة فى الدولة القديمة فى البحر المتوسط تحمل بضائع مصر إلى فينيقيا (لبنان حاليا) أما الوصول إلى بلاد بونت (الصومال حاليا) فقد كان أمرا شاقاً وكان على القوافل أن تخترق الصحراء الشرقية عند واد الحمامات بين مدينة قفط على النيل والقصير على البحر الأحمر وكانت القوافل تتعرض لخطر إعتداء البدو وسطوهم على ما تحمله من بضائع ولذلك فكر سنوسرت الثالث من الأسرة ١٢

من الدولة الوسطى فى ربط البحرين المتوسط والأحمر بطريق مباشر عن طرق النيل وفروعه لتوطيد طريق التجارة وتيسير سبل المواصلات بين الشرق والغرب وكانت السفن القادمة من البحر المتوسط تسير فى الفرع (البيلوزى) الذى كان يبدأ من موقع ما أطلق عليه الاسكندرية فيما بعد حتى (يوبست) الزقازيق حاليا ومنها إلى أبو صوير وصفط الحنة (قرب أبو 'د) ثم إلى البحر الأحمر عند البحيرات المرة كما كانت سفن ـر تبدأ رحلاتها من عاصمة مصر (طيبة) وتتجه إلى النيل ـالا خلال قناة سنوسرت ومنها إلى البحر الأحمر وبلاد بونت.

. أعيد حفر هذه القناة بعد ذلك تسع مرات وإرتبط اسمها بأكثر من عشرة ملوك وقد بدأت كما ذكرنا مع سنوسرت الثالث ثم الملكة حتشبسوت ثم سيتى الأول ثم نخاو الثانى ثم داريوس(دارا) الأول ملك الفرس وابنه (جزر - كسيس) ٤٨٦ - ٤٦٥ ق.م وبعدهما الإسكندر الأكبر ثم بطليموس الثانى ثم كليوباترا ثالأمبراطور تراجان وإدريان وبعد الفتح الاسلامى لمصر حفر القناه عمرو بن العاص واسماها قناة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقد استغرق حفرها ستة أشهر ثم أغلقت فى عهد الخليفة أبو جعفر المنصور وبعدها إرتبطت القناة باسم نابليون بونابرت والخديوى سعيد ثم الخديوى اسماعيل وأخيرا الزعيم جمال عبد الناصر.

وقد بدأت أعمال الحفر فى قناة السويس الحالية يوم ٢٥

ابريل عام ١٨٥٩ واستغرق الحفر عشر سنوات وستة أشهر حيث افتتحت الملاحة الرسمية فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩م. وبلغ طول القناة من السويس وحتى بورسعيد ١٧٣كم ويرجع اطلاق اسم السويس على القناة إلى أن فرمان حفرها نص على أن مهمة الشركة هى القيام بشق برزخ السويس وإنشاء قناة صالحة للملاحة البحرية من السويس على البحر الأحمر وحتى خليج التينه على البحر المتوسط حيث لم يكن لمدينتى بورسعيد والإسماعيلية أي وجود وقت إنشاء هذه القناة وقد مرت قناة السويس بمراحل تطور كثيرة حيث أنها تبلغ الآن ١٤ ضعفا بالنسبة لبداية إفتتاحها عام ١٨٦٩.

سنوات هامة فى تاريخ السويس

هذه بعض الأحداث الهامة التى حدثت فى تاريخ السويس منذ ما قبل التاريخ وحتى العصر الحديث نقدمها من خلال سنوات حدوثها.

٢٥٦٣ ق.م شيدت الأسرة الخامسة من الدولة القديمة قلعة امقاومة الغزاة القادمين من الشرق وحماية مناجم سيناء وكان موقع القلعة عند رأس خليج السويس (منطقة تل القلزم حاليا)

١٨٨٧ ق. م سنوسرت الثالث من الأسرة الثانية عشر من لدولة الوسطى يقوم بشق قناة ملاحية تربط البحرين المتوسط

والأحمر عند السويس كما شهد نفس العام قوات هذا الفرعون تطارد أعداء مصر من ممالك الشرق .

١٤٩٥ ق. م حتشبسوت تعيد شق قناة سنوسرت الثالث وتجلب خيرات بلاد بونت (الصومال) عن طريق ميناء السويس .

١٢١٨ ق.م خروج اليهود من مصر ومرورهم بمدينة بيتوم (السويس) ومكانها الحالى (تل رطابة) قرب القصاصين وهى التى شيدها رمسيس الثانى لتكون عاصمة المقاطعة الثامنة من مقاطعات الوجه البحرى ثم اتجهوا إلى سيكوت وهى السويس القديمة التى كانت تقع على ضفاف بحيرة التمساح وقد تم الخروج عبر طريقين الأول خلال صحراء (إيتام) حتى عيون موسى حيث تم اللقاء بالفريق الآخر الذى شق طريقه من بيثوم مستخدما طريق القوافل القديم عبر صحراء الإسماعيلية حاليا ثم اتجه الجمع الذى بلغ ٦٠٠ الفا غير الأطفال إلى وادى غرندل ثم وادى التيه ثم جبل موسى ثم عين الدحديرة ثم العقبة وفلسطين:

٥١٠ق.م.

الإحتلال الفارسي لمصر ومحاولة دارا الأول إستكمال مشروع حفر قناة نُخاو وقيام ابنه أجرزكسيس استكمال العمل النهائى فى القناة ووضع علامة حجرية فى ذكرى إتمام هذا العمل وذلك بمنطقة الكوبرى شمال سيناء.

٣٣٢ ق.م

بداية العصر البطلمى فى مصر وإنسحاب برزخ السويس إلى منطقة البحيرات المرة وقد شيد بطليموس الثانى مدينة أرسينوس على ضفاف بحيرة التمساح كما تم تشييد مدينة قبيزت كبريت حاليا

١١٧ ق.م

الإمبراطور تراجان الرومانى يطهر قناة البطالسه ويقوم الإمبراطور إدريان بعمليات تطهير القناة

عام ١ ميلادى

السيدة مريم العذراء وابنها السيد المسيح وكان رضيعا ويوسف النجار يمرون خلال أرض السويس التى كان اسمها فى تلك الفترة هيروبوليس ويواصلون رحلتهم حتى منف.

٦٤٣م عمرو بن العاص يعيد حفر قناة الرومان للملاحة وأطلق عليها قناة أمير المؤمنين وكانت هذه القناة تبدأ من الفسطاط وتنتهى عند تل القلزم.

٧٧٦م الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور يأمر بردم قناة أمير المؤمنين عند القلزم حتى لا تستخدم فى نقل المؤن إلى أهل المدينة الثائرين على حكمه بقيادة محمد النفس الذكية فحرمت السويس من مياه النيل لمدة ١٠٨٨ عاما إلى أن تم حفر الترعة الحالية عام ١٨٦٣م.

٩٦٩م
السويس تصبح مسرحا لصراع الفاطميين والقرامطة حتى تمكن جوهر الصقلى من طردهم من منطقة تل القلزم نهائيا... وأنشأ ضاحية السويس جنوب غرب القلزم

١١٨٢م السويس تشارك فى الحروب الصليبية والملك العادل الأيوبى يرسل أسطولا على ظهور الجمال للسويس لمطاردة سفن أرنولد حاكم الكرك ويوقع به الهزيمة.

١٢٤٨م
شجرة الدر تستخدم طريق المحمل الذى يمر بمنطقة الكوبرى شمال سيناء.

١٢٦٠م
السلطان الظاهر بيبرس يقوم بترميم قلعة السويس وحفر بئر بجوار الشيخ الدكرونى بطريق مصر السويس الصحراوى.

١٥٠٩م السلطان قنصوه الغورى يقيم مسجدا فى منطقة عجرود بجوار قلعة وبركة عجرود الشهيرتين.

١٥٣٨م الاتراك يشيدون ٨٠ سفينة فى السويس لمطاردة البرتغاليين في البحر الأحمر بقيادة أمير البحر سليمان باشا الخادم.

١٦٥٧م بيوت السويس تصبح ٢٠٠ بيتا وكنيسة للأروام الكاثوليك بمنطقة السليمانية.

١٧٧١م شركة مخاطرة السويس يتم تأسيسها وينشأ لها

فرع فى السويس وتختص بالتجارة بين الهند وأوروبا.

١٧٩٨م نابليون بونابرت يزور السويس فى ٢٦ ديسمبر أثناء الحملة الفرنسية ويمكث فيها فى ضيافة عائله (عنصره) إحدى عائلات السويس المعروفة لمدة عشرة أيام ثم يذهب إلى عيون موسى ليدرس مع علمائه فكرة ربط البحرين الأحمر والمتوسط وقد أخطأ علماء الحملة حساباتهم عندما اعتقدوا أن مياه البحر الأحمر تعلو بمقدار عشرة أمتار عن مياه المتوسط.

١٨٠٠م اسطول فرنسى فى السويس مكون من الطرادات ميلزمو، كاستليونى، وقد تم نقل قطع الطرادات مفككة على ظهور الجمال من بولاق وقامت هذه السفن بإحتلال القصير حتى جاء الجنرال (بيرد) من الهند عام ١٨٠١ فانتهى نفوذ الفرنسيين فى البحر الأحمر.

١٨١١م محمد على ينشىء ترسانة نحرية فى السويس ويحضر إلى المدينة فى ذلك العام ليودع أسطول مصر في حملته على الجزيرة العربية .

١٨٢٣م حصل الضابط الانجليزى (توماس واجهرن) على امتياز تسيير قوافل بين السويس والقاهرة بإستخدام عربات تجرها الخيول

١٨٤٩م عباس باشا الأول يقوم برصف طريق السويس القاهرة بالأحجار كما قام بتشييد قصر عند الكيلو ٦٠ اسماه (البيت الأبيض)

١٨٥١م عباس باشا الأول يعقد إتفاقا مع روبرت ستيفنش مخترع القاطرة البخارية لإنشاء خط سكة حديد بين السويس والاسكندرية.

١٨٥٤م فرديناند ديلسبس يحصل من الخديوى سعيد على عقد إمتياز بإنشاء الشركة العالمية لقناة السويس البحرية وفى ٣٠ ديسمبر ١٨٥٤ زار ديلسبس السويس لدراسة مدى صلاحية ء السويس ليكون مدخلا للقناة على البحر الأحمر.

١٨٥، م افتتاح خط سكة حديد السويس القاهرة فى أوائل مبر

١٨٦٦م انشاء عملية ترشيح مياه لتوزع مياه الشرب على لسكان

١٨٦٩م الامبراطورة أوجينى تصل إلى السويس فى ٢٠ نوفمبر لحضور حفل افتتاح قناة السويس

١٨٧٧م شركة مياه السويس تعلن افلاسها وتؤول العملية إلى شركة قناة السويس.

١٨٧٩م إزالة الخط الحديدى الذى يربط السويس بالقاهرة بعد تشغيل خط القاهرة – الزقازيق – الاسماعيلية – السويس بعد افتتاح القناة وتشهد السويس فى اغسطس من نفس العام نفى المجاهد الاسلامى جمال الدين الأفغانى إلى الهند.

١٨٨٢م الإنجليز يحتلون السويس باسم الخديوى توفيق فى ٢ أغسطس

١٩٠٢م شركة بيتس تحصل على امتياز لمدة ٢٠ سنة لإنشاء محطة كهرباء الإنارة مدينة السويس.

١٩١١م تأسست فى السويس أول مصفاة للبترول فى العالم العربى والشرق الأوسط.

١٩١٤م القوات الهندية والإشتراكية والنيوزلندية العاملة فى صفوف القوات البريطانية تنزل السويس فى طريقها إلى الشام للقتال ضد تركيا.

١٩١٥م الأتراك يقتحمون قناة السويس عند منطقة كبريت شمال السويس والإنجليز والهنود يتصدون لهم ويقام نصب تذكارى للضحايا عند المدخل الجنوبى للقناة.

١٩١٦م السويس تصبح محطة عالمية لتغذية البواخر بالمازوت

١٩١٩م السويس تشارك فى أحداث الثورة وتستقبل سعد زغول فى طريقه إلى المنفى

١٩٢١م السويس تودع سعد زغلول عند نفيه إلى جزيرة سيشل

١٩٢٢م تعيين النقراشي باشا ناظرا لمدرسة السويس الأميرية (الاعدادية القديمة حاليا) قبل أن يصبح رئيسا لوزراء مصر بعد ذلك

١٩٢٣م السويس تستقبل سعد زغلول بعد عودته من المنفى

١٩٢٥م مجلس بلدى السويس يشترى محطة الكهرباء

ويمصرها.

١٩٢٧م إنشاء أول مصنع للأزرار بالسويس تابعا لبنك مصر.

١٩٣٠م إعادة تسيير قطار السويس القاهرة

١٩٣٢م عالم الآثار الفرنسى برنارد روبير يقوم بعمليات تنقيب فى قلعة القلزم.

١٩٤٠م مد خط أنابيب من السويس للقاهرة لنقل المواد البترولية

١٩٤١م هجوم بالطوربيد على السويس

١٩٤٦م عبود باشا يحصل على قرض امريكى لإقامة مصنع للأسمدة بالسويس مصنع عبود)

١٩٤٨م السويس تشهد رحيل القوات المصرية إلى فلسطين فى المعارك ضد اسرائيل

١٩٥٦م الزعيم جمال عبد الناصر يؤمم شركة قناة السويس.

١٩٧٥م إعادة افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية بعد أن توقفت من جراء حرب يونيه ٦٧.

الفصل الثانى.

التاريخ النضالى لشعب السويس

إن الموقع الاستراتيجى لمدينة السويس والذى جعلها بوابة مصر الشرقية قد فرض عليها أن تكون دوما فى المقدمة خلال كل حروب مصر سواء أكانت هذه الحروب غزوا لمصر أو دفاعا ضد غزو أجنبى. ومن هنا فقد فرض على شعب السويس خلال كل العصور أن يكون شعبا مناضلا شجاعا يتقدم الصفوف يقدم القدوة والمثل. ولكى نحاول رصد كل التاريخ النضالى لشعب السويس فإن ذلك يحتاج إلى دراسة خاصة ومتخصصة حتى نستطيع أن نلم بكل هذا التاريخ النضالى الحافل... ومن هنا فسوف نكتفى فقط بتقديم بعض (الإشارات السريعة) عن نضال شعب السويس فى مختلف العصور التاريخية وذلك لكى نؤكد على أن السويس كانت ومازالت وستظل (مدينة الأبطال).

العصر الفرعونى

كانت السويس قاعدة عسكرية لتأمين مناجم جبل المغارة فى سيناء وقد قامت الأسرة الخامسة من الدولة القديمة ببناء قلعة السويس الشهيرة وبعد افتتاح قناة سنوسرت الثالث استمرت السويس معسكرا لقوات أساسية لحماية تجارة مصر مع

الشرق واحتفظت المدينة بهذا الدور الحيوى طوال العصر الفرعونى.

العصر اليونانى

استطاع الإغريق تطوير ميناء السويس وقلعتها بل تحول الميناء إلى ميناء عالمى بعد أن قام فيليبدوس الحاكم البطلمى لمصر بتوصيل مياه الترعة الحلوة لمنطقة كليزما لتصبح السويس إحدى القلاع الهامة طوال العصر اليونانى.

العصر الرومانى

عندما هزم الرومان كليوباترا قاموا على الفور بإحتلال قلعة القلزم لتصبح نقطة إنطلاقهم إلى كل مصر.

العصر المسيحى

لجأ كثير من المسيحيين إلى السويس هربا من الإضطهاد الرومانى وأنشأوا بها أول دير للمسيحين فى العالم.

الفتح الاسلامى

بعد الفتح الاسلامى لمصر أصبحت القلزم طريق الإتصال الرئيسى بين مصر والحجاز وكان الولاة المعينين على مصر يفدون إليها عن طريق القلزم

الدولة الفاطمية

لم يكد الفاطميون يستولون على مصر حتى دب النزاع بينهم وبين أتباعهم القرامطة فى الشام بعد أن خرجوا عن ولائهم

للفاطميين وقد رأى جوهر الصقلى أن يتحدى القرامطة بفتح الشام وسرعان ما دارت الحرب بين الجانبين سنة ٣٥٨هـ (٩٦٩م) فحلت الهزيمة بالجيوش الفاطمية سنة ٩٧١ مما جعل زعيم القرامطه الحسن القرمطى يهاجم مصر فسيطر على برزخ السويس وإتخذ القلزم مركزا لعملياته الحربية فى البلاد وقد فشلت جهود القرامطه فى التوغل داخل مصر ولكنهم إتخذوا منطقة السويس مركزا لنشاطهم حتى تمكن جوهر الصقلى من طردهم نهائيا إلى بلاد الشام ولكن بعد أن سقط الكثيرون من أبناء السويس شهداء.

صلاح الدين ... والحروب الصليبية

اتجه صلاح الدين الأيوبى فى حروبه مع الصليبيين إلى تحصين حدود مصر الشرقية ومنها السويس وأصبحت المدينة مركزاً لصناعة سفن الاسطول ولم تكن الحروب الصليبية هى الخطر الوحيد الذى يهدد السويس طوال حكم المماليك بل إن العربان كانوا يعتدون على الفلاحين والتجار والمسافرين مما جعل السلاطين المماليك يرسلون الحملات التأديبية بين حين وآخر إلى السويس. وقد تعطل طريق السويس فى زمن الحروب الصليبية ولم يعد الطريق الآمن للحجاج القاصدين الحجاز بل إن (أرناط) صاحب حصن الكرك قد بنى أسطولا بحريا ليهاجم به الموانى المصرية يصل البحر الأحمر وأيضا موانى الحجاز

فقام العادل الأيوبى (أخو صلاح الدين) ببناء أسطول كبير وذهب به إلى السويس ثم راح يطارد السفن الصليبية حتى هزمها وبعد هزيمة الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبى عاد طريق السويس كأفضل طريق للحجاج ولإدراكه أهمية السويس فقد أرسل السلطان الظاهر بيبرس بعثة لتعمير قلعتها سنة ١٢٦٠وأقام فيها حامية قوية من الجند. كما أنشأ السلطان نلاوون (خانا) للمسافرين عند بركة عجرود ثم جاء السلطان لغورى وأنشأ بجوار هذا الخان مسجدا وبجوار المسجد قلعة بها حرس لحراسة الطريق.

السويس قاعدة بحرية للعثمانيين

تلاحقت الأحداث السياسية الدولية بعد الغزو العثمانى لمصر مما أضفى على السويس أهمية لم تظفر بها من قبل فقد إتخذ العثمانيون من السويس قاعدة بحرية لغزو اليمن وأصبحت قاعدة لبناء الأسطول واهتم العثمانيون بترميم قلاع السويس والطور والمحافظة على آبار الماء العذب المتناثرة فى تلك الجهات . كما اتخذ العثمانيون من السويس قاعدة لتوجيه الحملات لضرب الصليبيين فى الخليج العربى والمحيط الهندى وقد فشلت معظم هذه الحملات مما جعل العثمانيين يكتفون فقط بالدفاع عن البحر الأحمر ضد أى غزو صليبى وتمشيا مع هذا الاتجاه فقد صدر تشريع عثمانى بجعل البحر الأحمر بحرا

إسلاميا مغلقا يحرم على السفن غير الاسلامية ارتياده واستمر هذا الحظر مستمرا حتى أواخر القرن السابع عشر

نابليون بونابرت فى السويس..!

رغم أن الفرنسيين قد أصيبوا بهزيمة فادحة فى معركة أبى قير البحرية أول أغسطس ١٧٩٨ إلا أن بونابرت لم يتراجع عن حملته ووجه قوات عسكرية بقيادة الجنرال (بون) لإحتلال السويس وسلكت الحملة طريق الحجاج فبلغت المدينة فى ديسمبر ١٧٩٨ وعلى الفور أعمل الفرنسيون النهب والتدمير واستولوا على كميات الدقيق والغلال والوقود ونقلوها إلى مستودعات الجيش ثم اشعلوا الحرائق فى المدينة مما اضطر فريق من السكان إلى الرحيل إلى الطور ولجأ البعض الآخر إلى الصحراء وبعد أن هدأت الأوضاع إنتقل نابليون بنفسه إلى السويس ليدرس مع علماء الحملة على الطبيعة كيفية شق قناة تربط بين البحرين المتوسط والأحمر وقد وصل السويس مساء ٢٦ ديسمبر ١٧٩٨ وغادر المدينة يوم ٣ يناير ١٧٩٩ بعد فشل مشروع القناة لخطأ فى حسابات علماء الحملة. ولم يتوقف نشاط الفرنسيين فى السويس على دراسة مشروع القناة بل إمتد إلى الميدان العسكرى حيث استطاعت فرنسا إنشاء أسطول حربى من السفن الخفيفة إتخذ من السويس قاعدة له للسيطرة على البحر الأحمر.

محمد على ...: وأول أسطول مصرى فى السويس...!

كانت طموحات محمد على كبيرة جدا وكان يستخدم أحدث وسائل عصره لتحقيق هذه الطموحات ولذلك فقد جعل من السويس إبان الحروب الوهابية(١٨١١ – ١٨١٨) قاعدة بحرية تم فيها بناء أول أسطول مصرى ينقل الجنود والمؤن والعتاد ـربى إلى ينبع ميناء المدينة المنورة أو جدة ميناء مكة ؛رمة كما أصبحت السويس مركزا لحشود عسكرية متلاحقة ل بها محمد على إلى الحجاز إما بحرا أو برا. وقد تردد ـمد على مرات عديدة على السويس للإشراف على تركيب جزاء السفن وسفر الحملات العسكرية

السويس وغزو الحبشة

دب النشاط الحربى فى السويس إبان الحرب التى نشبت بين مصر والحبشة (١٨٧٥ – ١٨٧٦) وقد زج الخديو اسماعيل بمصر فى هذه الحرب الغريبة على غير استعداد وقد خرجت حملات هذه الحرب من السويس وعادت إليها بعد أن فشلت ثلاث مرات متوالية فى فتح الحبشة.

السويس تودع الأفغانى

قام شعب السويس بوداع السيد جمال الدين الأفغانى عند نفيه من مصر عام ١٨٧٩ بعد أن صدر قرار مجلس الوزراء

برئاسة الخديو توفيق بنفى الأفغانى إستجابة لرغبة قنصل بريطانيا العام في مصر.

الثورة العرابية

بعد أن إحتل الإنجليز مدينة الإسكندرية عند بداية احتلالهم لمصر عام ١٨٨٢ إتجهت انظارهم إلى السويس خشية أن يسد العرابيون المدخل الجنوبى لقناة السويس عند البحر الأحمر . وقد كان مركز الشعب المصرى قويا فى السويس ففى مينائها تقف ثلاث قطع من الأسطول الحربى المصرى والقوات البرية تسيطر على الخط الحديدى الذى يمتد من السويس إلى الاسماعيلية كما أن القوات المصرية فى السويس كانت تسيطر على أسلاك البرق والتليفون وترعة الماء العذب وكان محافظ المدينة رجلا وطنيا من أنصار عرابى وكان فى مقدور القوات المصرية أن تفسد خطة الإنجليز لو أن الأوامر قد صدرت إليها فى وقت مبكر بسد مدخل القناة ولكن ديلسبس خدع عرابى ووعده بأن الإنجليز لن يستخدموا القناة وهذا الخطأ الحربى القاتل كان العامل الأكبر إن لم يكن الوحيد لانتصار الإنجليز فى معارك الميدان الشرقى وإحتلالهم العاصمة. المهم إتجهت القوات الإنجليزية إلى السويس بقيادة الأدميرال هويت الذى طلب من محافظ السويس أن يعلن ولائه للخديو توفيق فرفض المحافظ وغادر المدينة حتى لا يتعاون مع الانجليز وفى يوم ١٢

أغسطس ١٨٨٢ إحتل الإنجليز السويس مؤكدين أنهم إحتلوا المدينة باسم الخديو توفيق وتأييدا لسلطته وكانت السويس أول مدن القناة التى احتلها الإنجليز وفى ٤ أغسطس ١٨٨٢ أصدر الخديوى توفيق منشورا إلى منطقة القناة يؤكد فيه علي أن الجيش البريطانى جاء لمصر لإعادة النظام وأنه قد أذن لهذا الجيش فى احتلال المراكز الضرورية للعمليات الحربية ضد العرابين العصاه..!

وفى ١٩ أغسطس أرسل الزعيم أحمد عرابى إلى رئيس أركان حرب الجيش المصرى فى الميدان الشرقى يأمره بقطع ترعة الماء العذب وردم قناة السويس عند الشلوفة شمالى السويس ولكن الوقت كان متأخرا فقد تقدم الإنجليز وإستحال تنفيذ الأوامر.

وفى ٢٠ أغسطس قامت معركة بين الإنجليز وبين القوة المصرية فى الشلوفة وانهزمت القوة المصرية وفى نفس اليوم احتل الإنجليز بورسعيد والإسماعيلية وإتخذوا من مدن القناة قاعدة للزحف إلى القاهرة التى وصلوها فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ وذلك بعد خيانة بعض الضباط الموالين للخديوى.

وفى يوم ٣ ديسمبر ١٨٨٢ صدر حكم المحكمة العسكرية بالإعدام على عرابى ثم صدر فى نفس اليوم أمر خديوى بتعديل الحكم إلى النفى المؤبد وفى ٧ ديسمبر صدر الحكم بإعدام كل من طلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى البارودى

وعلى فهمي ثم تلا رئيس المحكمة فى نفس الجلسة أمر الخديوى بتعديل الحكم إلى النفى المؤبد ووقع إختيار إنجلترا على جزيرة سيلان لتكون منفى للزعماء الأبطال وفى ٢٧ من ديسمبر أعدت الحكومة المصرية قطارا خاصا أستقله الزعماء السبعة مع الأهل والخدم وبلغ عددهم جميعا ٤٨ فردا وتحرك القطار إلى السويس وبه فصيلة من الجنود الإنجليز مع قوة من الجنود المصريين وبلغ القطار ميناء السويس فى الثامنة من صباح ٢٨ ديسمبر فودعه شعب السويس بكل الاجلال والتقدير... وبعد تسعة عشر عاما عاد عرابى من منفاه يوم ١٩٠١/٩/٢٩ إلى مدينة السويس ونزل فى بيت الشيخ النجار وفى أول اكتوبر استقل عرابى وصحبه القطار من السويس وإزدحم أهالي المدينة على رصيف المحطة لوداع الزعيم أحمد عرابى.

السويس تشارك فى ثورة ١٩١٩

قامت مدينة إالسويس بدورها فى ثورة ١٩ حيث كانت المدينة تعج بالجنود البريطانيين الذين تدفقوا عليها من مختلف أنحاء الإمبراطورية وعندما اندلعت الثورة شارك.شعب السويس فى أحداثها بمظاهرات ضخمة فقطع الخط الحديدى وأسلاك البرق لتليفون بين السويس والاسماعيلية وإنقطعت سبل الإتصال مع القاهرة وفى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ ودع شعب السويس

الزعيم سعد زغلول عند نفيه للمرة الثانية بمظاهرات ضخمة وحماسية جدا.

معاهدة ٣٦... والحرب العالمية الثانية

مع ازدياد الحركة الوطنية فى بداية الثلاثينيات وقع حزب الوفد مع الإنجليز معاهدة ١٩٣٦ لتبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ السويس بعد أن أصبحت القاعدة الرئيسية لقوات الإحتلال فى مصر ولتتحمل السويس مع بورسعيد والإسماعيلية عبء الإحتلال نيابة عن مصر كلها.

ومع بداية الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩ – ١٩٤٥) أصبح على السويس أن تعانى بشدة لوجود الإنجليز بها حيث كان ميناء الأدبية الذى أنشأه الإنجليز جنوب السويس أهم الموانىء العسكرية على البحر الأحمر وكان يتحكم فى حركة قوات الحلفاء وإمداداتها كما كان ميناء بورتوفيق يلعب دورا أساسيا فى ربط قوات الحلفاء فى القارات الثلاث.. ولذلك أصبحت السويس هدفا لغارات طائرات المحور ليلا ونهارا، وقد عمق كل ذلك كراهية شعب السويس للإنجليز والنازيين على حد سواء..

إلغاء معاهدة ٣٦... والمقاومة السلبية

فى ٨ اكتوبر أعلنت مصر قطع المفاوضات مع إنجلترا وأعلنت أيضا إلغاء معاهدة ٣٦ وقد بث ذلك الإلغاء فى شعب

مدن القناة روح الثورة والمقاومة فبدأ على الفور أعمال المقاومة السلبية فأقلع عمال الشحن والتفريغ فى مدينة السويس عن تفريغ وشحن السفن البريطانية فى ميناء الأدبية ونهج عمال بورسعيد نفس النهج. ثم إنسحب المصريون من العمل فى المعسكرات البريطانية وورشها ومصانعها وضحوا بأجورهم... إمتنع المتعهدون عن توريد ما سبق أن تعاقدوا عليه مع الإنجليز .. وأوقف التجار وأرباب المهن التعامل مع الإنجليز ورعاياهم .. وامتنع عمال السكك الحديدية عن نقل الجنود البريطانيين ومهماتهم.

وفى ٢ نوفمبر ١٩٥١ طلب القنصل البريطانى بالسويس مستر بيللى مقابلة المحافظ ابراهيم زكى الخولى ومعه البريجادير هو امير ضابط الاتصال وتم اللقاء فى مبنى المحافظة حيث ركز القنصل على ما أسماه أزمة التعاون القائمة بين العمال المصريين والقوات البريطانية وزعم أن العمال يهجرون المعسكرات خوفا من تهديد بعض العناصر الوطنية المتطرفة إلا أن المحافظ قال له (إن هؤلاء العمال إنما يتركون أعمالهم من تلقاء أنفسهم وبمحض رغبتهم وإن الحكومة لا يمكنها أن تتدخل فى حرية الأفراد)

وقد بلغ عدد العمال الذين تركوا العمل بالمعسكرات منذ إلغاء المعاهدة فى ٨ أكتوبر وحتى أول نوفمبر ١٩٥١ فى السويس تسعة آلاف عامل وهو أكبر عدد فى كل مدن القناة.

اسماعيل يس ... يوقف الضحك..

نجم الكوميديا الكبير اسماعيل يس أحد أبناء السويس وبعد إلغاء معاهدة ٣٦ وبدء أعمال المقاومة أصدر بيانا يوم ٢٤ أكتوبر ٥١ أعلن فيه (كان مقررا أن أعمل في حديقة الأزبكية من الغد ولكنى كفنان مصرى لا أجد في نفسى الرغبة أو المقدرة على إلقاء المنلوجات والفكاهات بينما مصر وبلدى السويس تعانى من طغيان المستعمرين وينال إخوانى المصريون الكثير من عدوانهم ولهذا قررت الإنقطاع عن العمل حتى نرتاح جميعا من الطغيان البريطانى البغيض.

الفصل الثالث
معركة كفر أحمد عبده...
دنشواى السويس..!

بعد إلغاء معاهدة ٣٦ وبداية المقاومة السلبية للإنجليز بدأت فى نفس الوقت المقاومة الإيجابية عن طريق الهجمات التى قام بها الفدائيون ضد معسكرات الإنجليز لتستولى على أسلحتهم وتنسف منشآتهم ومستودعات البنزين وتقطع أسلاك التليفون. وتقتل جنودهم . وقد ثار الإنجليز فأقدموا على إجراءات تعسفية وحشية حيث عزلوا السويس مع منطقة القناة عن بقية مصر واعتبروا القناة منطقة بريطانية تحكم عسكريا وأوقفوا المواصلات بين المدينة وباقى مصر وتجاهلوا السلطات المصرية وأخذت دورياتهم المسلحة تجوب شوارع السويس مستفزة شعور الناس . وإحتلوا جمرك السويس يوم ٢٠ اكتوبر وأقاموا بطارية من المدافع الرشاشة على سطحه ثم احتلوا مداخل الطرق المؤدية إلى السويس وفرضوا تفتيشا دقيقا على السيارات عند الكيلو ٩٩ وأوقفوا تسيير القطارات من السويس ثم منعوا نقل مواد البترول والبنزين من السويس إلى داخل القطر. مما هدد الإقتصاد المصرى بحدوث كارثة فطلبت الحكومة المصرية تدخل السفير الأمريكى جفرش كافرى وقد نجحت وساطته..

شهيد الفدائيين الأول

رد الفدائيون على غطرسات الإنجليز بنشاط واسع تمثل فى تكثيف الهجوم على معسكراتهم خلال النصف الثانى من نوفمبر ففى الواحدة بعد منتصف ليلة ١٤ نوفمبر ٥١ فجر الفدائيون خط المياه الواصل من محطة (الفلتريشن) إلى معسكرات الإنجليز ودارت معركة بين قوات الحراسة والفدائين أسفرت عن سقوط أول شهيد من الفدائيين بالسويس وهو الشهيد محمد ابراهيم جعفر كما أصيب كل من محمد أبو هانى عمران وفاضل سالم وفى المقابل إتسمت التصرفات الانجليزية بالطيش والتهور إلى حد اطلاق النيران دون تمييز على الأهالى ففى صباح الثلاثاء ٢٧ نوفمبر ٥١ إجتاحت السيارات البريطانية شارع فاروق (الجيش) وبها جنود يصوبون النار علي المارة بل وقذف أحد الجنود قنبلة يدوية أصابت بشظاياها أربعة من المواطنين وهم أحمد زكى - فتحى الجرحى - محمد مرسى - العربى أبو سعيد.

معركة السويس الأولى ٣ ديسمبر ٥١

تعطلت إحدى سيارات النقل الحكومية فى العاشرة والنصف من صباح يوم الاثنين ٣ ديسمبر عند منطقة المثلث فى حى الأربعين بالقرب من ورش السكك الحديدية وكانت تقل قوة من جنود الشرطة بقيادة الملازم أول ألفى عثمان .. فنزل السائق

لإصلاح السيادة وإذا بجنود المعسكر الإنجليزى يطلقون النار خوفا من أن يكون وقوف السيارة خدعة لهجوم الفدائيين . وعلى الفور رد جنود الشرطة بإطلاق النيران وانضم عدد من الأهالى والفدائيين للجنود المصريين وأثناء الاشتباك خرجت قافلة إنجليزية من عدة سيارات تنقل جنوداً مسلحين بالرشاشات إلى طريق الزيتية (خلف المعسكر) لتطويق حركة الأهالى وراحوا يطلقون النار على الناس فى الشوارع وتصدى رجال الشرطة والفدائيون والأهالى لهذه القافلة واستمرت المعركة عدة ساعات سارعت خلالها قوة مصرية بقيادة اليوزباشي صادق الغنام الذى استطاع أن يتفق مع القائد الإنجليزى على انسحاب الطرفين من منطقة السيارة وقد إستشهد فى هذه المعركة من المصريين ٢٨ شهيدا منهم ٧ من رجال الشرطة وبلغ الجرحى ٧٠ جريحا منهم ١٢ من رجال الشرطة وقد بلغ عدد القتلى الإنجليز ٢٢ قتيلا وعدد الجرحى ٤٠ جريحا.

معركة بعد الظهر

بعد نهاية إشتباك المثلث والزيتية صباح الاثنين ٣ ديسمبر وانسحاب القوات البريطانية إلى داخل المعسكرات بيتت النية للأنتقام وبالفعل خرجت قوة إنجليزية فى الثالثة ظهرا مدعمه بالدبابات والمظليين وبدأوا اطلاق النار عشوائيا ... وشارك البوليس المصرى فى الدفاع عن المدينة وقد تمكن الإنجليز من

احتلال كشك سكة حديد المثلث رقم (٥) واحتلوا أيضا محطة دفع المياه للمعسكرات (الفلتريشن) لتأمينها ضد هجمات الفدائيين ورغم هذا فقد إستطاع الفدائيون توجيه لطمة قاسية للإنجليز بعد أن نجحت مجموعة منهم فى التسلل إلى محطة الفلتريشن ووضعوا أربعة ألغام فيها نسفت مبانيها.

وفيما يلى بعض أسماء الشهداء الذين سقطوا يوم ٣ ديسمبر ٥١.

محمد متولى - مدين الطوخى - حنفى زهران - شمعة عبد الله - محمد أحمد حسن - السيد بكرى

معركة السويس الثانية ٤ ديسمبر ٥١
معركة الشهيد حنفى زهران

طلب المحافظ ابراهيم زكى الخولى يوم ٤ ديسمبر عقد اجتماع مع الجنرال أرسكين لمناقشة حوادث ٣ ديسمبر وعقد الاجتماع فى العاشرة صباحا فى مبنى محطة شركة القناة وفى نفس الوقت كان أهالى السويس يشيعون جنازة الشهيد حنفى زهران الملاحظ بالسكة الحديد لنقل جثمانه إلى مسقط رأسه بالزقازيق وقد فوجىء المشيعون بقوة بريطانية مكونة من ثلاث دبابات وأربع مصفحات وعدد من السيارات المسلحة تطلق عليهم النار عشوائيا وقد حاول الجندى المصرى أحمد السيد وهبه فتح الكوبرى حتى لا يجتازه الإنجليز إلا أنهم قتلوه قبل أن ينجح فى محاولته.

وترك المشيعون (النعش) وراحوا يقاومون هذا الغدر وسارع الفدائيون للإشتراك فى المعركة التى استمرت حتى الواحدة ظهرا ليستشهد ١٥ مصريا ويجرح ٢٩ وفى المقابل تم قتل ٣٨ بريطانيا وجرح ٦٧.

وفور علمه بهذا الهجوم قطع المحافظ اجتماعه من أرسكين وهدد أرسكين بإحتلال السويس بالكامل للقضاء على نشاط الفدائين داخلها ونزلت القوات البريطانية إلى شوارع المدينة وخطفوا ثلاثة من أفراد بلوك النظام هم محمد الخديوى - حسونه عبد النبى - عبد العزيز غانم.

وفيما يلى بعض أسماء الشهداء يوم ٤ ديسمبر

أحمد وهبه - عبد الله عبد المنعم - عبد الله بيومى - يوسف حسن - أحمد الشربينى - أحمد عطيفى - حسن النجار - أحمد يونس - ابراهيم شمس الدين - أحمد أبو سنه - أحمد جاد الحق - مقار موسى حنا - محمد حسين - حسين عامر - فريده وهبى.

كفر أحمد عبده يدخل التاريخ...

يقع كفر أحمد عبده فى المنطقة الواقعة بين ترعة السويس وشريط السكة الحديد أمام حى المثلث أي أنه كان يقع بين محطة مياه (الفلتريشن) التي تمد الانجليز بالماء وبين معسكراتهم شمال المدينة وتبلغ مساحة الكفر ثمانية أفدنة وكان يضم ١٥٦ منزلا تسكنها ثلاثمائة أسرة عدد أفرادها ألفا نسمة

وقد كان هذا الكفر مجرد أرض فضاء حتى عام ١٩١٨ عندما قام الحاج أحمد عبده بالبناء هناك فأطلق اسم هذا الرجل على المنطقة كلها، وقد ظل على قيد الحياة حتى توفى عام ١٩٧٤.

وبعد خسائر الإنجليز الفادحة في يومى ٣، ٤ ديسمبر لجأوا إلى إجراء إستفزازى حيث قرروا إزالة كفر أحمد عبده من الوجود تماما وذلك بنسفه بحجة إنشاء طريق يصل المعسكرات البريطانية بوابور المياه الذى يغذيهم بالماء. وحددوا يوم ٧ ديسمبر موعدا لتدمير الكفر ، وتلقى المحافظ خطابا من أرسكين القائد الإنجليزى يعلمه بموعد التنفيذ فاتصل المحافظ بوزير الداخلية فؤاد سراج الدين فرفض الوزير طلب الانجليز وأمر المحافظ بأن تقوم قوات الشرطة بحماية مساكن الكفر ومنع هدمها فأبلغ المحافظ القيادة البريطانية بقرار الوزير وقرر الإنجليز تأجيل العملية ٢٤ ساعة لعقد اجتماع مع المحافظ لإقناعه وفى الاجتماع تمسك كل طرف بموقفه وفشل الاجتماع ليحدد الإنجليز السادسة من صباح السبت ٨ ديسمبر لاحتلال كفر أحمد عبده تمهيدا لتدميره. وعقد مجلس الوزراء المصرى اجتماعا فى بيت رئيسه مصطفى النحاس وتقرر رفض الإنذار وتكليف المحافظ بالدفاع عن الكفر وتدخل السفير البريطاني رالف ستيفنش لوقف العملية ولكن القائد العسكرى رفض، وفى الموعد المحدد جاءت قوات انجليزية اضافية من كسفريت وفايد وتم حصار السويس من جميع أطرافها ووقفت السفن

الحربية البريطانية في القناة وصوبت مدافعها نحو المدينة وتم حشد قوة برية من عشرة آلاف مقاتل ومعهم ٢٥٠ دبابة و٥٠٠ سيارة مصفحة و٥٠ سيارة إشارة بالإضافة إلى أسراب الطيران وفى المقابل وجد المحافظ أنه من الإنتحار أن يجعل قوات الشرطة وكل عددها ٤٠٠ جندي تتصدى لكل هذه القوات البريطانية وبعد أن تشاور مع قيادات المدينة قرر عدم التعرض للقوات البريطانية . وقد غادر أغلب سكان كفر أحمد عبده مساكنهم ليلا ودبر لهم المحافظ أماكن للإقامة فى مدرسة البنات وأكشاك الاستحمام على شواطىء السويس . وفى صباح يوم السبت ٨ ديسمبر ٥١إحتل الجنود الانجليز أسطح العمارات والمنشآت تحسبا لأى مقاومة ورغم كل هذه القوات البريطانية إلا أن الرعب كان يسيطر عليهم خشية أن يبث الفدائيون الألغام فى طرقات ومنازل الكفر وتم تطويق السويس بالكامل من خلال ٢٠٠ نقطة حراسة يتكون كل منها من سيارتين مصفحتين وعشرة جنود وفى الساعة العاشرة تماما من صباح ٨ ديسمبر أعطى القائد البريطاني وارلنج أوامره بهدم المنزل الأول الذى كان مطوقا بأدوات النسف ثم تلا ذلك بقية المنازل وبعد النسف بالألغام تقدمت دبابات سنتربون وشرمان وبعدها كاسحات البلدوزر لتسوى المنزل بالأرض وتقتلع كل ما يواجهها من مبان وأشجار وفى النهاية نجحت قوات الامبراطورية العظمى فى القضاء على حوائط البيوت الفارغة في كفر أحمد عبده ليسجلوا

بذلك واحدا من أهم إنتصاراتهم الإستعمارية ..!!

نتائج تدمير كفر أحمد عبده

إهتزت صورة الامبراطورية البريطانية فى أعين كل العالم وشنت الصحافة المصرية حملة كبيرة على الانجليز وخرجت المظاهرات فى كل مصر تندد بالإنجليز وبالملك فاروق الذى لم يتخذ أى إجراء بالرد على الإنجليز ومع ذلك فقد إتخذت الحكومة المصرية عدة قرارات هامة فى إجتماعها يوم ١١ديسمبر منها إستدعاء السفير المصرى من لندن وإنهاء أعمال جميع الموظفين الإنجليز فى وزارات الحكومة وتيسير حمل السلاح لكل المصريين للدفاع عن أنفسهم ومعاقبة كل مصرى تعاون مع السلطات العسكرية البريطانية.

خاصة بعد أن عادت القوات البريطانية إلى إحتلال كفر أحمد عبده مرة أخرى يوم الاثنين ١٠ ديسمبر بطريقة فيها استعراض للقوى وقاموا بشق الطريق الذى يخترق الكفر وقد إنفجر لغم وضعه الفدائيون أثناء قيام القوات البريطانية بشق الطريق مما أسفر عن سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى بينهم.

إنتقام الفدائيين

بعد هدم كفر أحمد عبده بدأ الفدائيون فى تنفيذ خطة الانتقام ضد الإنجليز بهدف استنزاف قواهم ووضعهم دوما فى

حالة إستنفار فبدأت عمليات ملاحقة التواجد البريطاني وقطع خطوط إتصاله ومهاجمته فى الأطراف والداخل وشغله على مدى ساعات اليوم ونتيجة لذلك فحتى يوم ١٨ ديسمبر أى بعد هدم الكفربعشرة أيام لم يستطع الإنجليز رصف أكثر من مائة متر من الطريق الذى أرادوا أن يشقوه بطول ٢ كم فقد إنشغلت كل القوات البريطانية فى رد هجمات الفدائيين ومحاولة اصلاح آثار الهجمات التى يشنوها على الطرق ومحطة الفلتريشن.

وقد إستفاد الفدائيون فى حركتهم وهجماتهم من السخط العام والغضب الذي إجتاح مصر كلها بحيث تحركوا وسط مظلة كاملة من حماية المواطنين البسطاء الذين أحسوا أن المعركة معركتهم جميعا ليتم الجلاء عن مصر مهما كانت التضحيات وركز الفدائيون هجماتهم على القوات البريطانية فى ثلاثة محاور .

١- الهجوم على محطة مياه الفلتريشن التى كان حمايتها هو الهدف من هدم الكفر وقد نجح الفدائيون فى نسفها سبع مرات خلال أقل من شهر ليؤكدوا عجز الإنجليز عن حمايتها ... وليؤكدوا قدرتهم على مهاجمة الإنجليز مهما كان الأمر.

٢- قطع خطوط المواصلات البرية والسكة الحديد فتم تفجير خط نسكة حديد الأدبية ٥ مرات خلال شهر ديسمبر وهذا الخط يربط المعسكرات بالميناء وتم نسف كوبرى الكمامتو(قرية عامر الحالية) والذى كان الجسر الوحيد الذى يربط معسكرات

الإنجليز في غرب وشرق ترعة السويس مما أعاق وصول المؤن مدة شهرين كاملين لإعادة البناء وكانت المؤن تصل عن طريق كوبرى الهويس مما يجعلها تحت رحمة الفدائيين

٣- نسف خطوط الإتصالات التليفونية وقد وصلت هذه الهجمات إلى ١٠٠ هجمة خلال ديسمبر وبذلك استطاع الفدائيون قطع كل شرايين التغذية للقوات البريطانية.

نسف خط السويس الآدبية

خطط الفدائيون لنسف أحد القطارات الإنجليزية المحملة بالوقود والأسلحة فقامت مجموعة منهم بقيادة محمد ابراهيم الخطيب بزرع الألغام على القضبان في الثامنة من مساء ليلة ١٣ دسمبر ولكن القطار تأخر عن موعده فاضطر إلى تفجير القضبان فحدثت فجوة كبيرة طولها ١٢ مترا وعرضها ٧ أمتار وفي الخامسة صباحا جاء القطار ولم ينتبه السائق للحفرة فسقط القطار بعرباته العشرين وأصيب جنديان وهرب الباقون إلى قسم عتاقة، وقد تم تدمير هذا الخط أربعة مرات بعد ذلك

خمسة شهداء

استطاع الفدائيون تدمير محطة المياه (الفلتريشن) أكثر من مرة كان أولها يوم ١٧ ديسمبر وفي يوم ٢٠ ديسمبر هجم ١٥ فدائيا على محطة المياه ودارت بينهم وبين الإنجليز معركة شرسة فسقط منهم خمسة شهداء منهم لملوم بحيرى - فهمى

عثمان.

قنابل عيد الميلاد

مع إقتراب إحتفالات أعياد الميلاد كثف الفدائيون هجماتهم في كافة المحاور التي حددوها لحركتهم وحولوا حياة القوات البريطانية إلى جحيم وخرجت الصحافة المصرية والعالمية تؤكد على أن المصريين قد حولوا أعياد الميلاد إلى جحيم).

معركة السويس ٣- ٤ يناير ٥٢

مع بداية عام ٥٢ كثف الفدائيون عملياتهم ضد الإنجليز مما جعل الجنرال أرسكين يهدد مرة أخرى ويتهم كتائب الفدائيين أنها تواصل القتال وتفتعل الصدام كل يوم وفي يوم ٣ يناير ٥٢ قام الإنجليز بإغلاق مداخل المدينة عند المثلث في نفس موقع معركة ٣ ديسمبر ٥١ ثم إقتحمت سيارة إنجليزية تقل جنوداً ورش القاطرات التابعة لمصلحة السكك الحديدية في السويس. وأطلقوا النار على عمال الورش وفي نفس الوقت إتجهت عشرون سيارة مصفحة و دبابتان وثلاثون من حاملات الجنود لتطويق المنطقة من محطة الفلتريشن وحتى ورشة الوابورات وبدأت طلقات النيران تنهمر على الناس وهب رجال الشرطة للدفاع عن المدينة وتحصن بعضهم في كفر محمد سلامة وكفر البراجيل بأمر من البكباشي محمد عبد السلام كما أسرع الفدائيون وزرعوا أربعة ألغام في وابور المياه الخاص بالإنجليز فدمرت

كثيرا من مبانيه وبدأت معركة شرسة مع الإنجليز وجاء الليل ليحاول الإنجليز تحصين مراكزهم ثم استأنفوا مع الفجر إطلاق النار واحتلوا كشكى المثلث ١، ٢ وعادت قوات الشرطة والفدائيون والأهالى لمواصلة الجهاد وقام الإنجليز بدك المنازل بالمدافع للقضاء على الفدائيين الذين يتحصنون فيها بل وأطلقوا النار على المستشفى وعلى سيارات الإسعاف وقد إستهان شعب السويس بالموت فإندفع يواجه المعركة ولم تزده وحشية الإنجليز إلا تمسكا بحقه ولم تتوقف الإشتباكات إلا فى الساعة السادسة من مساء ٤ يناير بعد أن اتصل القنصل البريطانى بالمحافظ ابراهيم الخولى وأنذره بإستخدام المدافع الثقيلة لدك المدينة إذا لم يتوقف الفدائيون عن إطلاق النار ورفض المحافظ وطالب أن توقف القوات البريطانية النيران أولا وقد حدث ذلك بالفعل.

وقد أسفرت خسائر القوات البريطانية خلال معارك اليومين عن سقوط ٢٠ قتيلا و٤٧ جريحا بينما إستشهد خلال اليومين ١١ مصريا من بينهم سيدتان وطفلة.

الفصل الرابع
السويس من ٥٦ - ٧٣
ملحمة الصمود والردع
السويس والعدوان الثلاثى

عندما بدأ العدوان الثلاثى على مصر فى ٢٩ أكتوبر ٥٦ زعم المعتدون أنهم يسعون فقط إلى تأمين الملاحة فى القناة، وأن السويس مدينة ذات أهمية خاصة حيث أنها قاعدة لتموين حامية شرم الشيخ وجزر سنافر وتيران وميناء الطور كما أنها تزخر بمعامل تكرير البترول وإستخراج مشتقاته ... فقد أراد الأعداء أن يتخذوا منها قاعدة يزحفون منها شمالا ومن بورسعيد قاعدة يزحفون منها جنوبا لتتلاقى قواتهم فى وسط القناة. وتنفيذاً لهذه الخطة حاول المعتدون إنزال قوات برية فى مدينة السويس فتجمعت سفن بريطانية وفرنسية عند مدخل خليج السويس ثم اقتربت فى ٣ من نوفمبر ٥٦ من ميناء السويس فتصدت لها مدفعية السواحل فشتتها ثم هاجمتها زوارق الطوربيد المصرية فأغرقت قطعة بحرية بريطانية وأنسحبت السفن البريطانية والفرنسية إلى الجنوب بعيدا عن الشاطىء وقام الأسطول المصرى بمطاردة هذه السفن وضربها أثناء الإنسحاب فأغرق حاملة جنود بريطانية بالقرب من شرم

الشيخ. وقد سارع الرئيس جمال عبد الناصر باعطاء الأوامر بإغلاق مجرى القناة عند بورسعيد عن طريق إغراق خمس سفن فيها مستفيدا فى ذلك من خطأ أحمد عرابى عام ١٨٨٢ عندما رفض سد القناة مما سهل كثيرا من مهمة القوات البريطانية فى احتلال مصر.. ومع ذلك فقد تعرضت السويس فى ٥٦ إلى كثير من الغارات الجوية العنيفة والمتلاحقة مما دمر البيوت وحطم المنشآت ورغم ذلك فقد انتصرت مصر فى حرب السويس لتنهى لى الأبد عصر المغامرات الاستعمارية المسلحة ولتسقط مبراطوريتى فرنسا وانجلترا.

السويس تواجه النكسة

قبل أيام قليلة من ٥ يونيو ٦٧ خرجت السويس فرحة مستبشرة وهى تودع قوات مصر والدبابات الضخمة وهى تعبر إلى الضفة الشرقية مندفعة إلى قلب سيناء ويوم ٦ يونيو ورغم البيانات العسكرية المشجعة إلا أن السويس كانت أول من شعر بحجم الكارثة التى وقعت وعلى الفور خرج شباب السويس فى مجموعات إلى منطقة الشط ومداخل سيناء يبحثون عن الجنود الشاردين ويعودون بهم ، وقامت اعداد كبيرة من الفلاحين على امتداد الشريط الأخضر الموازى للقناة بعبور القناة لإحضار المصابين والجرحى من الجنود والضباط المصريين. وخلع أهل السويس ثيابهم المدنية ولبسوا جميعا (الأفرول الكاكى)

صباحا ومساءا إبتداء من المحافظ حتى المواطن العادى وذلك ليقولوا للعدو الذى قبع على الشط الشرقى أن الشعب كله قد تحول إلى جيش يستعد للثأر بعد أن رفض الهزيمة وتبدأ بطولات السويس ضد العدو يوم ١٤ يوليو عندما حاول اليهود السيطرة على نصف مجرى القناة برفع علمهم عليه وذلك قبل وصول المراقبين الدوليين فعبر ثلاثة من شباب السويس وهم مصطفى أبو هاشم وغريب محمد غريب وعبد ربه محمد عبد زبه واستطاعوا إسقاط هذا العلم بل وأسروا جنود العدو وعادوا بهم إلى البر الغربى . وترد اسرائيل بوحشية على هذه العملية من خلال غارات الطيران على مدى يومى ١٤ ، ١٥ يوليو لتدمر المنشآت البترولية ويستشهد من أهل المدينة ٣٧ شهيدا ويجرح ١٣٤١ آخرين.

ويرفع الرئيس عبد الناصر شعار الصمود ويعقد مؤتمر القمة العربية فى الخرطوم أول سبتمبر وبعد المؤتمر مباشرة وبالتحديد يوم ٤ سبتمبر قام العدو بقصف عنيف على أحياء السويس الآهلة بالسكان والذى يبلغ عددهم ٢٦٣ ألف نسمة ويسقط عشرات الشهداء ويتكرر العدوان يومى ٢٠، ٢٧ سبتمبر ويصل عدد الشهداء خلال هذا الشهر إلى ٣٧٢ شهيدا ... وترد مصر بعنف عندما استطاع أحد لنشات الصواريخ المصرية فى ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ إغراق المدمرة الاسرائيلية (إيلات) وعليها مئات الجنود والضباط ولم يجد العدو ما يرد به إلا العدوان على

السويس بكل أنواع السلاح وذلك يوم ٢٤ اكتوبر مركزة على معامل البترول بها والمساكن المدينة وأمام هذه الهمجية يرتفع شعار جديد وهو (التهجير جزء من المعركة) وذلك لتهجير السيدات والأطفال والمسنين وبذلت القيادة جهودا كبيرة لإقناع ٢٠٠ ألف سويسى بترك بلدهم إلى الوادى وكانت صعوبة المشكلة تنبع من أن أهل السويس فى الأصل من المهجرين من المحافظات الأخرى إلى المدينة وبذلك فمن الصعب عليهم تكرار تجربة الهجرة مرة أخرى ونجحت القيادة فى تهجير أهل السويس إلى المحافظات الأخرى.

ومع بداية شهر يوليو ٦٨ يتغير الوضع على الجهة حيث بدأت القوات المصرية مرحلة الدفاع النشط وفى يوم ٨ يوليو يحدث أول اشتباك بالمدفعية حيث استطاعت المدفعية المصرية ولعدة ساعات دك النقاط الحصينة على البر الشرقى للقناة ويستمر الدمار فى السويس ويصمد أهلها ويدافعون ويقاتلون من خلال قوات الدفاع المدنى.

حرب الإستنزاف

ومع بداية عام ٦٩ تبدأ حرب الإستنزاف على طول خط المواجهة مع العدو هذه الحرب التي يحاول (المتنطعون) التقليل من شأنها رغم أنها من أعظم الحروب التى خاضتها مصر طوال تاريخها وتحتاج إلى دراسة خاصة تكشف عن كل جوانب

عظمتها ... المهم أن السويس كان لها دور عظيم فى حرب الاستنزاف تلك الحرب التى بدأت من السويس وعن طريق أبنائها من أعضاء منظمة سيناء العربية الذين نفذوا العمليات الأولى ضد العدو على الضفة الشرقية للقناة وكانت حرب الاستنزاف تهدف إلى تدمير أكبر قدر من الأسلحة والمعدات والتحصينات والأفراد للعدو من أجل إعادة الثقة للمقاتل المصرى فى نفسه وقيادته وسلاحه وتحملت السويس مع الاسماعيلية وبورسعيد عبء النتائج المدمرة لحرب الاستنزاف وتتطور العمليات ضد العدو من قوات الجيش ومن فدائى منظمة سيناء مما أدى إلى أن يرصد العدو ٥٠٠ مليون دولار لإنشاء ٣٣ نقطة حصينة على امتداد خط المواجهة وارتفع الساتر الترابى إلى ١٨ مترا وبذلك يكتمل خط بارليف الذى زعموا أنه سيكون مقبرة للجيش المصرى. وتتوالى الهجمات المصرية ضد العدو الذى يرد بتدمير مبانى السويس ومحاولة القضاء على كافة صور الحياة فيها ويضطر العدو إلى استخدام الطيران لإحداث أكبر الخسائر حتى تتوقف مصر عن حرب الاستنزاف ولكن مصر تطور من خططها لتواجه هذا العدوان ولیبدأ فى ٣٠ يونيو ١٩٧٠ اسبوع تساقط الطائرات الإسرائيلية التى وصلت إلى ٢١ طائرة فى هذا الاسبوع فقط فانزعجت اسرائيل ومن خلفها أمريكا التى سعت بجدية إلى وقف اطلاق النار فتقدم وزير خارجيتها (روجرز) يوم ١٩ يونيو ٧٠ بمبادرة لإيقاف

اطلاق النار بين مصر واسرائيل لمدة ٩٠ يوما وافق الطرفان على أن يسرى ذلك بداية من يوم ٨ أغسطس ٧٠ ونص الإتفاق على امتناع الطرفين عن تغيير الوضع العسكرى فى داخل المنطقة التى تمتد ٥٠ كيلومترا شرق وغرب القناة وقبل سريان وقف النار عملت مصر على إستكمال شبكة قواعد الصواريخ وركزت اسرائيل غاراتها المكثفة على منطقة قناة السويس لمنع مصر من استكمال هذه القواعد وسقط آلاف الشهداء من عمال مصر الأبطال من العاملين فى هذه القواعد وبلغت نسبة ما دمرته اسرائيل خلال المدة من أول يوليو وحتى أغسطس ما يزيد على ٥٠٪ من نسبة ما أصاب السويس من دمار طوال فترة العدوان .

إنتهت حرب الاستنزاف ليعيش أهل السويس فى حالة من الانتظار والترقب ويموت الزعيم جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ويأتى أنور السادات الذى يعلن فى كل يوم عن مبادىء جديدة لتحريك القضية ثم يعلن عن عام الحسم فى ٧١ ولم يحدث شىء واستمر الوضع على نفس الوتيرة. ومع بداية عام ٧٣ ظهرت بوادر الحرب فى الأفق حيث تم التنسيق بين مصر وسوريا وتم خداع اسرائيل وأمريكا أكثر من مرة عن طريق تنشيط حركة الجبهة فتستدعى اسرائيل الإحتياطى مما يكلف خزينتها ملايين الدولارات ... وتم الإتفاق النهائى بين مصر وسوريا على أن تبدأ المعركة يوم ٦ اكتوبر ٧٣ (١٠

رمضان ١٣٩٣) وعندما بدأت التحركات على الجبهتين المصرية والسورية ظن العدو بأنها تحركات للتمويه كالعادة ولكن حدثت المفاجأة.

العبور واسترداد الكرامة

بدأ العبور في الثانية ظهر ٦ اكتوبر وحققت القوات المصرية نجاحات عظيمة واستقبلت السويس أنباء العبور بفرحة تفوق الفرحة في أي مكان آخر وأعلنت كل مرافق السويس حالة الطوارئ القصوى تحسبا لهجمات طيران العدو ولكن لم تظهر طائرة واحدة للعدو في سماء المدينة. وفي مساء السادس من اكتوبر كانت القوات المصرية قد دمرت معظم نقاط خط بارليف الحصينة ووصل عدد الجنود المصريين على البر الشرقي أكثر من ٣٠ ألف جندي على جبهة طولها ١٧٠كم من السويس وحتى بورسعيد وحققوا عمقا من ٣ – ٥ كم داخل الشرق وقبل أن ينتصف الليل بدأ تدفق الدبابات المصرية والمدفعية الثقيلة إلى شرق القناة بعد أن تم بناء الكباري الثقيلة والمعدات وتم إسقاط مجموعات من الصاعقة المصرية خلف خطوط العدو واستمر التقدم المصري في المعارك حيث أصبح لمصر في فجر ٨ اكتوبر ٥ فرق مشاه كاملة على الضفة الشرقية للقناة وتكبد العدو خسائر فادحة جدا في الأفراد والمعدات.

العين بالعين والبادى أظلم..

كانت النقطة الحصينة التى تقع عند لسان بورتوفيق على البر الشرقى، والتى لا يفصلها عن السويس إلا ١٨٠م هى عرض القناة سببا فى تدمير السويس خلال حرب الاستنزاف وكانت هذه النقطة حصنا كاملا وقد بدأت قوات الجيش الثالث الميدانى (كتيبة الصاعقة التابعة للفرقة ١٩ مشاه) بالهجوم لإحتلال الموقع يوم ٧ اكتوبر بعد أن تعرضت خلال اليوم السابق لآلاف من القذائف والصواريخ وظل الموقع يقاوم وبداخله ٤٢ جنديا منهم ٥ قتلى و٢٠ جريحا واتصل قائد الحصن بوزير دفاعه شخصيا فأخبره أن يتصرف على مسئوليته ويدرك قائد الحصن أن قيادته قد تخلت عنه فيطلب التسليم يوم ١٣ اكتوبر فى حضور رجال الصليب الأحمر وتحضر وسائل الإعلام العالمية لتشاهد الملازم أول (شلومو أردينست) وهو يؤدى التحية للعلم المصرى ويسلم الموقع إلى النقيب فتحى زغلول من الفرقة ١٩ مشاة.

السويس فى المعركة

حاول العدو خلال يوم ٧ اكتوبر وقف هذا السيل المتدفق من قواتنا إلى سيناء فأغارت طائراته على منطقة المعابر والجناين والشلوفة دون أن يميز بالطبع بين المواقع العسكرية والمدنية فى محاولة يائسة لوقف الطوفان المصرى على الشرق وقدمت

السويس فى هذا اليوم شهيدين من المدنيين من القطاع الريفى وهما الشهيدان محمد عبد الفتاح وفتحى على عبد العاطى.

وفى يوم ٨ أكتوبر اقترح موشى ديان على رئيسة الوزراء جولدامائير أن تنسحب قواته من خط القناة وتنظيم خط جديد للدفاع داخل سيناء لشن الحرب من هناك وتم رفض هذا الطلب وواصلت القوات الإسرائيلية غاراتها علي السويس يوم ٨ اكتوبر ليسقط سبع شهداء و١٢ جريحا وتتهدم ستة منازل وتشب ثلاث حرائق.

الوقفة التعبوية الخاطئة

كان نص التوجيه الاستراتيجي الصادر إلى القوات المسلحة يؤكد على تنفيذ المهام الآتية ..

١- إزالة الجمود العسكرى الحالى بكسر وقف اطلاق النار إعتبارا من يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣

٢- تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة فى الأفراد والأسلحة والمعدات

٣- العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نمو وتطور إمكانات وقدرات القوات المسلحة على أن يتم ذلك بواسطة القوات المسلحة المصرية منفردة أو بالتعاون مع القوات المسلحة السورية.

وخلال الفترة من ٦ - ٩ اكتوبر استطاعت القوات المصرية

تحقيق نجاحات عظيمة انبهر لها العالم كله، ولكن فوجئ الجميع فى الداخل والخارج أن العمليات على الجبهة المصرية قد توقفت بشكل شبه تام من ١٠ اكتوبر وحتى يوم ١٤ اكتوبر. وقد سميت هذه الأيام الأربعة من ١٠ - ١٣ اكتوبر بالوقفة التعبوية، وهذه الوقفة الطويلة كانت خاطئة تماما حيث انتقل عنصر المبادأة بعد ذلك إلى القوات الإسرائيلية.

وفجأة يطلب الرئيس السادات من الفريق أحمد اسماعيل صباح يوم ١٢ اكتوبر أن يبدأ فى تطور الهجوم شرقا على الجبهة المصرية لتخفيف الضغط على الجبهة السورية ويلقى القرار معارضة من أغلب القيادات العسكرية المصربة فقد كان توقيت الهجوم من أهم عوامله خاصة بعد أن أصبح الموقف على الجبهة المصرية فى صالح اسرائيل بعد ما قامت أمريكا بتعويض الجيش الإسرائيلى عن كافة الأسلحة التى فقدها وكانت هذه الإمدادات تنزل من العريش وتتجه مباشرة إلى منطقة العمليات على جبهة قناة السويس وتم تأجيل تطوير الهجوم من يوم ١٣ ليصبح يوم ١٤ اكتويز وخلال ليلتى ١٢/١٣ ، ١٣/ ١٤ اكتوبر عبرت الى الشرق الفرقة ٢١ المدرعة ولواء من الفرقة ٢٣ الميكانيكية من منطقة الجيش الثانى والفرقة الرابعة المدرعة (عدا لواء مدرع) وعناصر من الفرقة ٦ الميكانيكية فى منطقة الجيش الثالث ويوم ١٤ اكتوبر دارت أكبر معركة دبابات واشترك فيها ما يقرب من ألفى دبابة ولم يكن

الهجوم المصرى مفاجئا مما أفقد القوات المصرية عنصر المبادأة وبلغت خسائر مصر ٢٥٠ دبابة وصدرت الأوامر بفض الاشتباك بعد أن فشل تطوير الهجوم.

وحدثت الثغرة

بدأت أولى خطوات الثغرة تحت ستار ليل ١٦/١٥ اكتوبر فى المنطقة التى تقع شمال البحيرات المرة حيث تسللت قوة من لواء مظلات وكتيبة دبابات تضم ٢٠ دبابة ثم لحقت بها صباح ١٦ اكتوبر قوة مدرعة تضم ٣٠ دبابة وعلى الفور بدأت القوة المدرعة فى مهاجمة قواعد الصواريخ غرب القناة ولم تكن الصورة واضحة عند القيادة المصرية وعجزت القيادات العسكرية المحلية فى تحديد حجم وأماكن هذه القوة التي استخدمت اسلوب حرب العصابات من خلال تجمعات تتكون من ٧ - ١٠ دبابات على بعد من ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ متر من مواقع الصواريخ سام لتشتبك ومعها وتدمرها أو تسكتها ثم تقوم بالانسحاب فورا لتظهر فى مكان آخر - وتم ابلاغ القيادة العامة بهذه الأخبار أثناء تواجد الفريق أول أحمد اسماعيل على القائد العام مع الرئيس أنور السادات فى مجلس الشعب صباح ١٦ اكتوبر حيث كان الرئيس سيلقى أول بيان عن المعركة ثم فوجئت القيادة العسكرية بجولدامائير تعلن بعد ظهر يوم ١٦ اكتوبر فى خطاب أمام الكنيست الاسرائيلى بأن عناصر من جيش الدفاع تحارب الآن فى غرب قناة السويس وتقاتل فى افريقيا.

الفصل الخامس
كيف تم حصار السويس ..؟!

بداية نؤكد على أننا من أشد المؤمنين بأن حرب اكتوبر ٧٣ هى أحد أكبر النقاط المضيئة فى كل تاريخ مصر فقد أثبتت هذه الحرب أن الانسان المصرى لم ولن يكون عاجزا أبدا وأنه قادر على فعل (المستحيل) لو وجد الفرصة والتخطيط الصحيح والقيادة الواعية... ورغم الأخطاء القاتلة والمأساوية التى حدثت أثناء وبعد حرب اكتوبر مما دفع البعض إلى الاعتقاد بأن هذه الحرب لم تكن سوى (تمثيلية) . ونحن نستبعد هذا الاعتقاد تماما فما حققه الجندى المصرى خلال الأيام الأولى لحرب اكتوبر لا يمكن أن يكون (تمثيلية) أبدا إنه (الثأر) للكرامة والعرض والأرض كما أن الدماء التى روت أرض سيناء الطاهرة لا يمكن أن تكون جزءً من تمثيلية أبدا. كما أن أى حاكم فى أي مكان من العالم مهما كانت أخطاؤه ومهما كان جنونه لا يمكن أن يجعل دماء أبنائه وأرواحهم جزء من تمثيلية... ومع ذلك فإن سلسلة الأخطاء الدرامية القاتلة التى حدثت أثناء المعركة وبعدها والتى بدأت بعد ساعات فقط من بداية الحرب هى التى أدت فى النهاية إلى حدوث الثغرة ثم إلى حصار السويس وفى رأينا أن هذه الأخطاء قد حدثت لأن القيادة السياسية لم تستوعب حجم الإنتصار ويتضح ذلك من الأمر الاستراتيجى

يبدأ المعركة والذى نص على (تحريك الوضع الحالى) و(كسر الجمود) و(تحرير الأرض على مراحل) . ولأن هذه الأخطاء هى التى أدت فى النهاية إلى حصار السويس فإننا سنحاول تقديم رصد كامل لهذه الأخطاء من خلال قراءة سريعة فى يوميات حرب اكتوبر العظيمة . وقد اعتمدنا فى هذا الرصد وهذه القراءة على الوثائق الصحيحة والأكيدة والتى لا يتطرق الشك إليها أبدا.

البرقية القاتلة

فى صباح اليوم السابع من اكتوبر ٧٣ كان لمصر على الضفة الشرقية للقناة أكثر من خمسين ألف ضابط وجندى حققوا إنتصارات عظيمة بعد أن دمروا أكثر من نصف النقط الحصينة لخط بارليف وتوغلوا فى عمق أرض سيناء وتم منذ مساء ٦ اكتوبر تركيب الكبارى والعبارات على مجرى القناة مما جعل القوات المصرية تتدفق كالسيل إلى سيناء.

وفى ظل هذه الانتصارات العظيمة حدثت المفاجأة التى حار فيها المحللون والسياسيون وأعتقد أنهم سيحارون فيها إلى الأبد فقد أرسل الرئيس أنور السادات رسالة عجيبة وغريبة إلى هنرى كسينجر وزير خارجية امريكا يقو له فيها وبالنص (إن مصر لا تنوى توسيع مدى أو عمق العمليات على الجبهة

المصرية) وقد نشر الاستاذ محمد حسنين هيكل (صورة ضوئية) لهذه الرسالة فى كتابه الخطير (اكتوبر ٧٣ - السلاح والسياسة) وبالطبع فإن هذه الرسالة تعد خطأ مأساويا لا مبرر له على الإطلاق حيث أنها قد وصلت بنصها وبعد دقائق فقط إلى اسرائيل ليتنفس القادة الاسرائيليون (الصعداء) ويعيدون ترتيب أوراقهم من جديد بل إن بعض القادة الإسرائيليين قد فكر فى (العبور الى الغرب) يوم ٨ اكتوبر أي فى اليوم التالى لإرسال رسالة السادات إلى كسينجر حيث طلب الجنرال (جونين) قائد الجبهة الجنوبية من الجنرال (دافيد اليعازر) رئيس الأركان إذنا بالعبور لغرب القناة فى حالة نجاح الهجوم الاسرائيلى المضاد يوم ٨ اكتوبر وكانت فكرة جونين استخدام نفس الكبارى المصرية التى عبرت عليها قواتنا فى عبور القوات الاسرائيلية إلى غرب القناة لتطويق الجيش المصرى. إلا أن دافيد اليعازر قال له (لتصلوا أولا إلى الكبارى وبعدها نرى، وعلى أية حال لا يتم عبور القناة غربا إلا بناء على أمر شخصى منى ولا يتحرك شارون بالذات إلا بتصديق منى) وقد أوصى اللواءان حسن البدرى وحسن طلعت من هيئة العمليات المصرية بتطوير هجوم الدبابات فى اتجاه المضايق يوم ٧ اكتوبر ولكن لم يسمع لهما أحد وقد واصل الجيش المصرى انتصاراته خلال يومى ٨ ٩ اكتوبر مما جعل موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي يفقد إتزانه ويصبح على وشك الإنهيار الكامل وذلك

مما جعل رئيسة الوزراء جولدامائير تستدعى أهارون ياريف رئيس المخابرات العسكرية السابق ليتولى مسئولية الإعلام العسكرى وليظهر بدلا من ديان على شاشة التلفزيون كما استدعت حاييم بارليف رئيس الأركان السابق ليتولى مسئولية الجبهة الجنوبية.

الوقفة التعبوية ... خطأ عسكرى قاتل ..!

بإنتهاء عمليات يوم التاسع من اكتوبر قررت القيادة المصرية وبدون التشاور مع القيادة السورية عمل وقفة تعبوية على الجبهة المصرية وتعنى هذه الوقفة تجميد العمليات تماما وقد إمتدت هذه الوقفة الغريبة أربعة أيام كاملة من ١٠ - ١٣ اكتوبر مما أتاح الفرصة كاملة للقوات الاسرائيلية أن تركز كل جهدها على الجبهة السورية فأجهضت كل الإنتصارات التى تحققت على هذه الجبهة بل وأصبحت تهدد دمشق العاصمة السورية نفسها. ويدافع الفريق أول أحمد اسماعيل وزير الحربية فى حرب اكتوبر عن هذه الوقفة التعبوية فيقول (كان التخطيط - الخطة الأصلية - أقصد - تقتضى وقفة تعبوية بعد اتمام العبور وبعد تأمين رؤوس الجسر، وقفة أعيد فيها تقدير الموقف على ضوء رد فعل العدو وأتأهب للخطوة التالية وأتخذ لها إحتياطاتها الكافية وأتقدم).

بينما اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات

فى حـرب اكتـوبر يؤكد على (أن خطة الحرب التى لا خـلاف عليها عسكريا وسياسيا قد وضعت للوصول إلى خط المضايق كهدف نهائى ولم تحتم هذه الخطة عمل وقفة تعبوية بعد إقتحام القناة وإنشـاء رؤوس كـبارى الجـيـوش بل نصت على تطوير الهجوم شرقا على المضايق حسب الموقف فكان توقيت تطوير الهجـوم من أهم عوامل نجـاحه لسرعـة إستغلال النجـاح الذى تحقق وكلما كانت فترة الإنتظار أقصر كان ذلك أفضل لنا . لقد كان الفريق أول أحمد اسماعيل على القائد العام حذرا أكثر مما يجب وأبطأ مـمـا يجب الأمـر الذى دعـاه إلى الانتظار الطويل بعمل وقـفـة تعـبوية من ١٠ - ١٣ اكتـوبر . لقد حـاولت خـلال الحرب معرفة مبررات البطء فى تطوير الهجوم شرقا وهل كان هناك قيد سياسى على القائد العام يتطلب ذلك. إلا أن الفريق أول أحمد اسماعيل لم يفصح لى عن هذا القيد لو كان موجودا

١٢ اكتوبر ... تطوير الهجوم أم الثغرة

عقد وزير الحربية الفريق أول أحمد اسماعيل اجتماعا لقيادته وأخـبـرهـم بأن هناك قرارا سيـاسيا بتطوير الهجوم لتتقدم القوات إلى المضايق على أن يبدأ الهجوم غدا ١٣ اكتوبر وقد اعترض اللواء ان سعد مأمون وعبد المنعم واصل قائدا الجيش الثانى والثالث على هذا القرار وبعد مناقشات طويلة تم تأجيل

الهجوم من ١٣ إلى ١٤ اكتوبر، وفى المقابل فقد عقدت جولدامائير إجتماعا لمجلس الوزراء المصغر وقدم الجنرال بارليف تقرير أكد فيه على أنه قد تم التخطيط والإعداد لهجوم اسرائيل مضاد يخترق ثغرة المفصل بين الجيشين الثانى والثالث يعبر قناة السويس إلى الضفة الغربية ويحتل أكبر مساحة ممكنه من الأراضى المصرية فى هذه الضفة وأكد على أن المخابرات الاسرائيلية قد عرفت بنية الفريق أول أحمد اسماعيل بعمل هجوم فى إتجاه المضايق غدا ١٣ اكتوبر واقترح بارليف ألا يبدأ هجوم الثغرة إلا بعد ضرب هجوم أحمد اسماعيل حتى تصبح عملية التقدم للنفاذ من الثغرة أسهل وأضمن.

ومع ذلك فقد تواصلت أخطاء القيادة المصرية بدفع الفرقتين السادسة عشر والرابعة المدرعتين إلى الشرق يومى ١٢ ، ١٣ اكتوبر لكى تشتركا فى تطوير هجوم فات وقته ويكون من شأن ذلك أن يحرم الجيش المقاتل من إحتياطيه الاستراتيجى خصوصا وأن هذه الإحتياطى الاستراتيجى كان مكلفا من الأصل بتنفيذ الخطة ٢٠٠ التى تحسبت لإختراق اسرائيلى مضاد.

١٣ اكتوبر ... استطلاع امريكى

قامت طائرة امريكية أسرع من الصوت بعمل استطلاع فوق كل مصر وقامت بتصوير كل شيء على الجبهة المصرية وفى العمق وبالطبع فقد وصلت نتائج هذه الاستطلاعات على الفور إلى اسرائيل لتضع من خلالها خطة صد الهجوم المصرى المتوقع.

١٤ اكتوبر وفشل تطوير الهجوم

يؤكد الفريق سعد الشاذلى فى مذكراته عن حرب اكتوبر بأن خطة تطوير الهجوم كانت تتضمن استخدام أربعة ألوية مدرعة ولواء مشاه ميكانيكى فى أربعة إتجاهات مختلفة على النحو التالى:

١- لواء مدرع فى إتجاه ممر مثلا (القطاع الجنوبى)

٢- لواء مشاه ميكانيكى فى إتجاه ممر الجدى (القطاع الجنوبى)

٣- لواءان مدرعان فى إتجاه الطاسه (القطاع الأوسط)

٤- لواء مدرع فى إتجاه بالوظة (القطاع الشمالى)

ولكن اسرائيل كانت مستعدة تماماً لرد الهجوم بعد وصول المدد الأمريكى خاصة صواريخ (تاو) وكانت خسائر الجيش المصرى فى هذا الهجوم كبيرة جداء حيث تم تدمير أكثر من

٢٤٠ دبابة، مما جعل الفريق أول أحمد اسماعيل يستأذن الرئيس أنور السادات فى وقف الهجوم فأذن له وتوقف الهجوم المصرى فى الثالثة بعد الظهر.

وعلى الجانب الآخر فقد كان الجنرال بارليف يدير المعركة الشرسة على مشارف المضايق حتى توقف الهجوم المصرى فى الثالثة بعد الظهر فقام بارليف بتبليغ النتائج إلى جولدامائير وطلب منها الإذن ببدء الهجوم المضاد والعبور إلى الغرب لأسباب ذكرها وهى :

١- الإحتفاظ بالمبادأة فى يد القوات الإسرائيلية.

٢- إستغلال اهتزاز معنويات القوات المصرية نتيجة لفشل هجومها.

٣- إنتهاز فرصة أن القوات العائدة إلى مواقعها الأصيلة من الجشين الثانى والثالث لم تستقر بعد فى المواقع التى عادت إليها، وبالتالى فإن المفصل بين الجيشين مفتوح بأكثر من أى وقت الآن.

٤- أن المسرح مهيأ لأن فرقتى الإحتياطى اللتين كانتا تحت تصرف القيادة العامة المصرية فى الغرب، قد تم استخدامها فى تطوير الهجوم المصرى صباح اليوم وبالتالى فإن عمق الجبهة المصرية مكشوف وتوازنها بصفة عامة.

فوافقت مائير على تقديرات بارليف وأعطته الإذن الذى طلبه.

١٥ اكتوبر ... الغزالة تعبر إلى غرب القناة

فى يوم ١٥ اكتوبر تولدت قناعة غريبة عند الرئيس أنور السادات، وكل القادة العسكريين بأن العدو سيحاول التمسك بمواقعه الحالية، ولن يحاول عمل أى هجوم مضاد، وفى تل أبيب إجتمع مجلس الوزراء المصغر فى السابعة صباحا، وأمامه تقرير من بارليف يؤكد بأنه سيبدأ هجومه فى السابعة مساء من عند الدفرسواز، وتقدمت المدرعات الاسرائيلية فى منطقة المفصل بين الجيشين الثانى والثالث واقتربت من خط المياه، ولكن القوات المصرية تنبهت إلى تحركات العدو فتصدت لها مما تسبب فى تأخير العملية، بحيث لم يبدأ نزول القوارب المطاطية لعبور القناة إلا فى الساعة الواحدة والنصف صباحا، وأمام المقاومة الشرسة للقوات المصرية طالب (ديان) بوقف الهجوم ولكن (بارليف) صمم عليه وأيدته (مائير) وبقية مجلس الوزراء الذى كان فى حالة إنعقاد دائم وعهد (بارليف) إلى (شارون) بالتقدم بمدرعاته مهما كانت المقاومة أمامه، وتقدم شارون بقواته لينفذ خطته التى أطلق عليها (الغزالة) وعند الفجر (الرابعة والنصف صباحا) إنفض اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلى، بعد أن تأكد من أن عملية شارون تمضى فى طريقها.

١٦ اكتوبر ... السادات يؤكد أن الثغرة مسرحية

فى الوقت الذى كانت فيه القوات الاسرائلية، تتقدم غرب القناة كان الرئيس أنور السادات فى طريقه إلى مجلس الشعب، وبصحبته الفريق أول أحمد اسماعيل، لإلقاء أول خطاب عن الحرب منذ بدايتها، وقد استقبل السادات فى مجلس الشعب استقبال الفاتحين، وفى نفس الوقت تقريبا كانت جولدمائير تلقى خطابا فى (الكنيست) أكدت فيه على أن القوات الإسرائيلية تحارب الآن بشجاعة على ضفتى القناة شرقا وغربا، وعلى الفور إتصل محمد حسنين هيكل بالرئيس السادات، وأخبره بما قالته مائير فأستنكر السادات ذلك واتصل بوزير الحربية ثم عاد ليتصل بهيكل وقال له (يظهر أن الأمور مفككة فى اسرائيل، وقد عملوا اليوم مسرحية، فبعثوا بشوية دبابات بترجس يعنى فوتوا شوية دبابات يتسللوا للغرب، ويستخبوا فى وسط الشجر، علشان تقدر مائير تقول، إن عندها قوات فى الغرب إنها مسرحية قصد بها اعطاء مائير شيئا تتكلم عنه فى خطابها لكى تشوش على خطابى، وهذه الدبابات دخلت فى مصيدة لن تخرج منها)

بينما كان رأى أحمد اسماعيل بأن ما فعلته اسرائيل هو نوع من الحرب النفسية أكثر منها عملا عسكريا، وذلك للتأثير على الرأى العام الاسرائيلى الذى أصبح على علم كامل بحجم الخسائر الإسرائيلية فى الحرب.

وفى الرابعة بعد الظهر، أكدت وكالات الأنباء بأن مراسليها موجودون غرب القناة وأن القوات الإسرائيلية تتحرك بقيادة جنرال، أى أنها لا تقل عن لواء واتصل هيكل بوزير الحربية وأخبره بهذه المعلومات، فأكد الوزير بأنه سيتم القضاء على هذه الدبابات هذه الليلة، وأنها نوع من حرب العصابات وسوف يتم القضاء عليها حتى لو اضطر إلى حرق كل مزارع الفاكهة التى تختبيء فيها هذه الدبابات .

القادة يختلفون

فى نهاية ليلة ١٦ اكتوبر، حدث خلاف كبير بين كبار القادة المصريين حول الثغرة فالفريق أحمد اسماعيل يرى أنه من الأفضل ضرب الثغرة من الشرق، بمعنى سد الفتحة التى تتدفق منها المدرعات الاسرائيلية إلى غرب القناة. والفريق سعد الشاذلى يرى أن قطع الثغرة عن سيناء من الغرب أكثر فاعلية، ولكن ذلك يقتضى سحب الفرقة المدرعة الرابعة من سيناء إلى غرب القناة لتقوم بهذه المهمة، وبلغ الخلاف بين الإثنين مبلغا خطيرا خصوصا، وأن الفريق سعد الشاذلى كان قد اقترح فى اليوم السابق على الثغرة عملية من هذا النوع لإعادة التوازن إلى الجبهة بعد فشل تطوير الهجوم إلى المضايق، وفى هذه اللحظة وصل الرئيس السادات إلى مركز القيادة، وقد إنحاز إلى

رأى الفرق أول أحمد اسماعيل للحفاظ على نفسية الجيش من أى عملية انسحاب، ولكن السادات فقد أعصابه وصرح فى وجه الفريق الشاذلى لا أريد أن أسمع هذه الاقتراحات مرة أخرى، وإذا سمعتها فسوف أقدمك إلى مجلس عسكرى لمحاكمتك.

١٧ اكتوبر - ٧٦٠ مدرعة اسرائيلية غرب القناة...

تم تكليف اللواء ١٦ مشاه، والفرقة ٢١ مدرعة، واللواء ٢٥ مدرع بقفل الثغرة من الشرق مع معاونة قوات الصاعقة التى دخلت معركة بطولية استشهد فيها قائد القوات، المقدم ابراهيم الرفاعى، ولكن قوة الإندفاع الاسرائيلى كان من الصعب إيقافها تماما، وبعد ظهر ذلك اليوم اجتمع الرئيس السادات مع رئيس الوزراء السوفيتى كوسيجن، وحاول السادات التهوين من شأن الثغرة فقام كوسيجن بعرض ١٨ صورة إلتقطتها الأقمار الصناعية السوفيتية عند الظهر، وتظهر تجمعات كبيرة للقوات الإسرائيلية ثم قال كوسيجن إن قوات اسرائيل فى الغرب ٧٦٠ قطعة مدرعة ما بين دبابة، وعربة مصفحة، وأن تعزيزها مازال مستمرا ...

وفى تل أبيب صدرت الأوامر بتوسيع الثغرة بقدر الإمكان، وأتصل ديان بمائير يطمئنها على الأوضاع ويؤكد أن الثغرة فى الجنوب إتسعت الآن بوجود لواءين من المشاه الميكانيكيه.

١٨ اكتوبر - سعد الشاذلى على الجبهة..

كلف الرئيس السادات الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان بالذهاب إلى الجبهة لوضع خطة على الطبيعة للقضاء على الثغرة.

وفى تل أبيب كان التفاؤل عمل الجميع وخاصة ديان وقد قال شارون عن الثغرة (لقد كان المصريون يتوقعون فى خططهم إحتمال عبورنا لقناة السويس من الشرق إلى الغرب ولقد وقع ضابط المخابرات المصرية فى القطاع (يقصد منطقة العبور في الدفرسوار) أسيرا فى يد قواتي، وقد عثرنا معه على خريطة تحدد بالضبط مكان عبورنا المحتمل وخطتنا بعد العبور مع إختلاف واحد هو أن المصرين توقعوا أننا سنستخدم دبابات برمائية- وهذا ما كنا سنفعله بالضبط - لكنها لم تصل في الميعاد مما اضطرني للتصرف، وإستخدام الهليكوبتر لنقل بعض طلائع العبور، لتأمين رأس الجسر ثم استخدمت أطواقا عائمة).

١٩ اكتوبر - السادات يعفى الشاذلى من منصبه

فى السابعة إلا الربع صباحا اتصل السادات بالفريق أحمد اسماعيل ليسأله عن الموقف فأخبره الوزير بأن الفريق سعد الشاذلى أخبره بأن الموقف يعود للسيطرة تدريجيا فإن قوات

مكونة من لواء من المظلات وكتيبتين من الصاعقة تمكنت من إيقاف تقدم قوات شارون، ويبدو أن القوات الاسرائيلية كانت تهدف التقدم نحو الاسماعيلية لإحتلالها، ولكن تقدمها تم إيقافه بخسائر فادحة، وهناك إحتمال كبير فى إمكانية قفل الثغرة الليلة ثم التعامل بعد ذلك، مع بقية القوات الاسرائيلية الموجودة فى الغرب.

وفى المساء عاد الفريق سعد الشاذلى إلى غرفة العمليات، وقدم تقررا أكد فيه أن المعركة تتطور بسرعة على الجبهة، وأن توزيع قواتنا لا يتمشى مطلقا مع متطلبات المعركة، وأن مسئولية كل قائد هى أن يجشد قواته، وإمكانياته فى المعركة لا أن يتحرك جزء منها يقاتل تحت ظروف سيئة بينما تقف باقى القوات موقف المتفرج. وإقترح الشاذلى فى نهاية تقريره سحب أربعة ألوية مدرعة من الشرق لمقابلة التهديد الاسرائيلى فى الغرب ... ولم يوافق الفريق أول احمد اسماعيل على الاقتراح . فإقترح اللواء سعيد الماحى قائد المدفعية أخذ رأى الرئيس السادات على اعتبار أنه القائد الأعلى للقوات المسلحة، وجاء السادات إلى غرفة العمليات ورفض سحب أى جندى من الشرق، وقرر إعفاء سعد الشاذلى من منصبه كرئيس للأركان على ألا يعلن هذا القرار، وقرر أيضا تعين الجمسى رئيسا للأركان.

٢٣ اكتوبر .. القوات الإسرائيلية فى جنيفة

أصبح التواجد الاسرائيلى فى غرب القناة كبيراً، ومؤثرا بعد أن عبرت فى مساء ١٧ اكتوبر فرقة (آدن) المدرعة، وكانت مهمتها الاساسية التقدم جنوبا إلى السويس وكان الجيش المصرى قد استطاع دحر الهجوم الاسرائيلى فى إتجاه الاسماعيلية، وذلك عن طريق اللواء ١٥٠ مظلات، واللواء ١٥ مدرع، وذلك بعد أن فشلت خطة الجيش المصرى يوم ١٧ اكتوبر فى دحر قوات الثغرة عن طريق عمل كماشة بالجيشين الثانى والثالث على هذه القوات، ولكن الجيشين لم يتمكنا الالتقاء وتوقفا على مسافة أربعة كيلومترات من بعضهما البعض، وقد تكبد العدو فى هذه الأيام أكبر خسائر فى الحرب سواء فى العتاد أو الأرواح، وقد كان القتال يدور بجميع الأسلحة المدفعية والمدرعات - الصواريخ - الطيران - الهليكوبتر... ومع ذلك فقد زاد تسلل العدو إلى المنطقة الجبلية متجها إلى الجنوب مستخدما أسلوب حرب العصابات التى يجيدها بأن تندفع أعداد قليلة من مدرعاته (من ٤ - ٧) فى كل إتجاه، وقد تقرر سحب الفرقة الرابعة المدرعة من رأس كوبرى الجيش الثالث الميدانى، ووضعها تحت القيادة المباشرة للقيادة العامة، وتكليفها بالانتشار من الدفرسوار إلى السويس لوقف أى محاولة للتقدم إلى السويس أو إلى القاهرة إلا أن فرقتى (آدن) و(ماهيه) المدرعتين واصلتا تقدمهما نحو السويس فى

يوم ٢٠ اكتوبر واستطاعت قطع طريق القاهرة السويس، وهددت بذلك طزق الإمداد والتموين عن فرقتى الجيش الثالث فى الشرق، وقد وصلت طلائع القوات الاسرائيلية صباح ذلك اليوم إلى منطقة (جنيفة) التى تقع داخل الحدود الإدارية لمحافظة السويس.

وفى هذا اليوم ٢٠ اكتوبر وافق الرئيس السادات على وقف اظلاق النار وذهب كيسنجر إلى موسكو للتشاور حول وقف اطلاق النار وطلبت جولدامائير من كيسنجر أكبر فسحة من الوقت حتى تتمكن اسرائيل من تحقيق أهدافها .

٢١ اكتوبر ... الإندفاع إلى السويس

فى هذا اليوم قام الجنرال (آدن) بتجميع الألوية الثلاثة لفرقته المدرعة، واندفع نحو السويس مستخدما تكتيكا جديدا يتمثل فى الإنقضاض السريع للدبابات وكانت فرقة الجنرال (ماجن) تسير خلفه لتطهير جيوب المقاومة، ولحماية ظهرة والإتجاه على يمينه لتأمين أية محاولات للهجوم من القاهرة، وقطع الطرق الموصلة إلى القاهرة ومنطقة القناة سواء المدنية أو العسكرية، واتضح تصميم اسرائيل على تحقيق أهدافها خاصة بعد اقتراب الجهود الدبلوماسية من الإنتهاء بعد المفاوضات الأمريكية السوفيتية بشأن إصدار قرار من مجلس الأمن بوقف القتال .

٢٢ اكتوبر - قرار مجلس الأمن يشرك تفاوض الطرفين

في صباح ذلك اليوم، وعندما علمت القيادة العسكرية الإسرائيلية بالإتجاه إلى صدور قرار وقف إطلاق النار من مجلس الأمن بادرت بالتركيز على التقدم نحو الجنوب وسرعة الوصول إلى السويس وركزت هجوم فرقتي آدن وماجن لمحاولة تحقيق أكبر مساحة ممكنة منذ صباح اليوم، وقد وصل كيسنجر إلى اسرائيل من موسكو ومعه مشروع القرار بوقف القتال والذي يبقى على قوات اسرائيل في مواقعها الحالية، ويشترط بدأ مفاوضات مباشرة بين الأطراف المتحاربة ولا يشير إلى أي انسحاب، وعند منتصف الليل صدر قرار مجلس الأمن ٣٣٨ مطابقا لمشروع كيسنجر.

٢٣ اكتوبر.. القوات الاسرائيلية تواصل الإعتداءات..

عندما صدر قرار مجلس الأمن كانت القوات الاسرائيلية على بعد ٣٥ كم شمال السويس، أي أنها لم تحقق أهدافها من حصار الجيش الثالث والسويس، ولذلك فرغم إلتزام مصر بقرار وقف اطلاق النار، فإن القوات الاسرائيلية لم تلتزم وبدأت في التحرك حتى تتفادى تداخل قواتها مع القوات المصرية، مما يضعف موقفها، وبالفعل دفعت اسرائيل بقوات جديدة إلى غرب القناة لتعزز قواتها، والتقدم في نفس الوقت للوصول إلى مؤخرة الجيش الثالث وقطع طريق مصر السويس الصحراوي، والوصول إلى السويس، واعتمدت القوات

الاسرائيلية فى تقدمها على عنصر المفاجأة وبعامل انفس، وقد خاضت عناصر الجيش الثالث غرب القناة القتال بضراوة فى منطقة (كبريت) و(الشلوفه) لتعطل تقدم قوات آدن وقد استخدم آدن لواءين من الألوية المدرعة التى تضمهما فرقته فى عملية الاشتباك مع جيوب المقاومة بينما إندفع باللوائين المدرعين الآخرين فى إتجاه السويس فى محاولة للوصول إليها قبل حلول الظلام ووصلا بالفعل عند حلول الظلام، إلى تقاطع طريق المعاهدة مع طريق القاهرة - السويس الرئيسى حيث تم وضع اللواء الذى يقوده العقيد جابى عددا من دباباته غرب السويس على طريق القاهرة بينما تقدمت إحدى كتائبه المدرعه إلى طريق العامرية (ناصر) فى طريقها إلى معامل الزيتية فى جنوب المدينة، وفى نفس الوقت كانت فرقة (ماجن) تتحرك على طريق جنيفة الكيلو ١٠٩ الذى يتقاطع فى نهايته مع طريق السويس القاهرة الصحراوى، بهدف عزل السويس عن العاصمة وتأمين القوات الاسرائيلية من أية هجمات، قد تأتيها من القاهرة - وبعد الغروب قامت عناصر من فرقة ماجن بالتقدم بمحاذاة سفح جبل عتاقة حيث احتلت شركة السماد ثم تقدمت إلى ميناء الأدبية الذى يبعد عن السويس ١٧ كم جنوبا حيث دخلت ميناء الأدبية وكانت الدبابات تضىء كشافاتها كأنها فى استعراض طابور ليلى، ولم يكن كثير من الجنود المصريين يعلمون أنها دبابات اسرائيلية، وفوجئت الحامية المصرية فى الأدبية بدخول

الدبابات عليها حيث دارت معركة صغيرة غير متكافئة، وتمكن عدد من الزوارق السرعة المصرية من ترك القاعدة إلى موانىء البحر الأحمر الأخرى للإحتماء بها ورغم أن القوات الاسرائيلية قد فقدت أكثر من ٢٠٠ دبابة أثناء تقدمها إلا أنها أصبحت فى نهاية ليلة ٢٣ اكتوبر على مشارف السويس ولتصبح السويس على موعد مع التاريخ ليقف العالم كله إجلالا واحتراما أمام بطولات شعب السويس الذى جعل من مدينته مقبرة لليهود فى ٢٤ اكتوبر أحد الأيام الخالدة فى تاريخ الشعب المصرى بل، وفى تاريخ الإنسانية كلها. ورغم مساومات كيسنجر وتسويف اسرائيل والقرار المائع لمجلس الأمن تحت رقم ٣٣٩، ورغم أن السادات قد بدأ يدفع نتيجة أخطائه فى الحرب ثم وضعه لكل (البيض) فى (سلة الامريكان) ورغم تهدد الرئيس السوفيتى الاسرائيلى... رغم ذلك كله إلا أن شعب السويس كان هو البطل الذى حسم الموقف

الفصل السادس
معركة ٢٤ اكتوبر
السويس مقبرة اليهود

مع الساعات الأولى من يوم ٢٣ اكتوبر نجحت القوات الاسرائيلية فى أن تكون على أبواب مدينة السويس، بعد أن إحتلت بالفعل ميناء الأدبية، وأصبح من المؤكد أن تهاجم هذه القوات المدينة في غضون ساعات فقط، ولذلك فقد استعد كل من فى المدينة للزود عن مدينتهم، وعن أعراضهم، ورغم أن السويس لم يكن بها فى ذلك الوقت أي وحدات عسكرية نظامية تدافع عنها، ولم يكن بالمدينة إلا بعض الجنود الشاردين والذين توافدوا على المدينة بعد أحداث الثغرة، ولم يكن معهم إلا سلاحهم الشخصي (البندقية – الرشاش الخفيف – وبعض من مدافع الأربجيه) ولذلك فقد أصبح كل العبء على أبطال منظمة سيناء ثم رجال الشرطة، وبعض الجنود الشاردين ثم كل أهل السويس ... وفى ظل هذا التوتر والترقب انتظارا لمهاجمة اليهود للمدينة كان مجلس الأمن يعقد جلساته طوال يوم ٢٣ اكتوبر، وأصدر فى مساء نفس اليوم قرارا ثانيا بوقف اطلاق النار على أن يبدأ تنفيذ القرار اعتبارا من السابعة صباح ٢٤ اكتوبر، ولكن العدو قد عقد العزم على إحتلال السويس ليحقق إنتصارا معنويا ضخما، ولكى يحاصر كل قوات الجيش الثالث

فقد بدأ مع أول ضوء دك المدينة بالطيران بكل الوحشية، والعنف ثم اشتركت المدفعية فى القصف، وقد لاحظ أبطال المقاومة أن القصف يتحاشى المداخل الرئيسية للمدينة فتأكد لهم أن العدو سوف يستخدم هذه المداخل فى إقتحامه للمدينة وعلى الفور تم تعديل أماكن الكمائن التى تم توزيعها فى مساء ٢٣ اكتوبر، وبالفعل بدأت دبابات العدو التقدم على المحاور الثلاثة الأول محور المثلث وهو المدخل الغربى للمدينة، ناحية الطريق الرئيسى القادم من القاهرة إلى السويس، وإمتداده هو شارع الجيش وميدان الأربعين، والمحور الثانى هو محور الجناين عبر الطريق القادم من الاسماعيلية حيث المدخل الشمالى للسويس حتى منطقة الهويس ثم شارع صدقى ومنه إلى ميدان الأربعين.

والمحور الثالث هو محور الزيتية وهو المدخل الجنوبى للسويس من ناحية الأدبية وعتاقة بمحاذاة الشاطىء، ويمتد حتى مبنى المحافظة، والطريق المؤدى إلى بورتوفيق، وكانت الكمائن قد توزعت على هذه المحاور الثلاثة فهناك كمين رئيسى وعدة أكمنة فرعية عند كوبرى الهويس على إمتداد محور المثلث.. وكمين رئيسى عند مزلقان البراجيل بشارع الجيش وبه أفراد من القوات المسلحة والشرطة والمدنيين.

ويقودهم أحمد أبو هاشم، وفايز حافظ أمين من منظمة سيناء، وفى ميدان الأربعين كمين آخر يضم محمود عواد قائد

مجموعة الفدائيين، ومعه محمود طه، وعلى سياق وعدد من المواطنين والجنود ورجال الشرطة ثم كمين آخر عند مزلقان السكة الحديد بجوار مقابر الشهداء ويضم محمد سرحان، وأحمد عطيفي، وابراهيم يوسف، ومعهم عدد من المدنيين، وجنود الجيش والشرطة، وكمين آخر حول ميدان الأربعين به عبد المنعم خالد، وغريب محمد غريب من منظمة سيناء، ومعهم آخرون وعند مبنى المحافظة كمين آخر يقوده نقيب شرطة حسن أسامة العصر ومعه بعض الجنود.

السويس تعيد أمجاد رشيد

أصبحت السويس محاصرة تماما بعناصر تشكيلات (فرقتين) من أفضل فرق المدرعات الاسرائيلية (فرقتا آدن وماجن) وكانت اسرائيل على ثقة كاملة من احتلال السويس لدرجة أنها قد حشدت مع قوات الاقتحام عددا كبيرا من مراسلي الصحف الاسرائيلية، والعالمية، وقد ذهبت بهم الثقة المغرورة لدرجة أن الجنرال (جونين) قائد الجبهة الجنوبية سأل الجنرال (إبراهام آدن) قائد الفرقة المدرعة بإحتلال السويس عما إذا كان يستطيع إقتحام المدينة في الفترة من طلوع الفجر في الساعة الرابعة والنصف صباح يوم ٢٤ اكتوبر حتى موعد بدء تطبيق قرار وقف اطلاق النار الثاني في السابعة من صباح نفس اليوم، أي في خلال ساعتين ونصف الساعة

ورد عليه الجنرال آدن بأن هذا يتوقف على عدد المقاتلين داخل المدينة، ومدى تصميمهم على القتال والمقاومة وأنه على أسوأ الإحتمالات يمكنه الإستيلاء على جزء من المدينة فقال له الجنرال (جونين) إذا كانت السويس ستكون مثل بئر سبع (التى استولى عليها الاسرائيليون بسهولة فى ٢٠ اكتوبر ١٩٤٨) فتقدم على الفور، وإذا كانت مثل ستالنجراد - التى عجز الألمان عن دخولها عام ١٩٤٢ لمقاومتها الضيقة فلا تدخلها).

وتقدمت القوات الاسرائيلية على المحاور الثلاثة، ودخلت بالفعل إلى المدينة حيث كانت الخطة أن يدخلوا بلا أى مقاومة لدرجة أن بعض جنود العدو نزل ليلتقط بعض التذكارات من الشارع، وفجأة فتحت السويس أبواب الجحيم على قوات العدو لتعيد السوس بذلك أمجاد مدينة رشيد التى استخدمت نفس الخطة مع حملة فريزر سنة ١٨٠٧.

وجاءت أولى قوات الهجوم فى محور الجنان حيث قامت كتيبة من اللواء المدرع الاسرائيلى الذي يقوده العقيد (أربيه) بالتقدم عبر كوبرى الهويس للوصول إلى شارع صدقى وتصدى لها كمين الهويس واستطاع تعطيل أول الدبابات على الكوبرى مما أدى إلى استدارة باقى الدبابات للخلف ولم تقم هذه الكتيبة بالتقدم من هذا المحور بعد ذلك.

وعلى محور الزيتية تقدمت كتيبة العقيد (جاى) حتى وصلت

إلى قصر الثقافة ثم تقدمت إحدى الدبابات إلى مبنى المحافظة حيث تقع غرفة العمليات الرئيسية فى الخندق الموجود أسفله، ووقفت دبابة أخرى أمام مبنى الإتحاد الإشتراكى لتسيطر على شارع سعد زغلول بينما تقدمت دبابة أخرى عند قهوة (أبو حجازيه) عند بداية بورتوفيق، وتقدمت دبابة أخرى إلى فندق بلير فى إنتظار موجة الهجوم الرئيسى الذى سيتقدم عبر محور المثلث، وعلى محور المثلث تقدمت كتيبة مدرعة أخرى بقيادة العقيد (أريجيه) بمساعدة كتيبة مظلات بقيادة المقدم (يوس) فى عربات مدرعة نصف جنزير على ثلاث موجات كل موجة ٨ دبابات تتبع كل دبابة عربتان مصفحتان، بالإضافة إلى مجموعة من عربات المؤن والأتوبيسات (بعضها مصرى من بين المعدات التى تم الاستيلاء عليها أثناء التقدم من الدفرسوار إلى السويس) وكان هذا المحور هو المجهود الرئيسى للهجوم الإسرائيلى على السويس نظرا لأن طريق المثلث - الأربعين يخترق المدينة بالكامل ويشطرها إلى نصفين، ووصلت الموجة الأولى على هذا المحور واختارت المنطقة المواجهة للعمارات الشعبية بالمثلث ثم ميدان الترعة ثم شارع الجيش ... وقد دخلت بعض دبابات العدو إلى المدينة وهى ترفع أعلام الجزائر والمغرب فى محاولة لإعادة الخدعة التى قامت بها القوات الإنجليزية عندما دخلت بورسعيد، عام ٥٦ عندما رفعت الاعلام الروسية، ولكن أبطال السويس لم ينخدعوا هذه المرة.. وعندما

وصلت الموجة الأولى إلى ميدان الأربعين كان محمود طه قد (عمر) الأربيجية الذى يمسكه محمود عواد وأطلق عواد القذيفة الأولى فأصابت الدبابة الأولى فى برجها، ولكنها اصابة غير مباشرة ثم أطلق القذيفة الثانية على الدبابة الثانية فى جنزيرها وهى أيضا اصابة غير مؤثرة... وإنتقل كمين سينما رويال بسرعة ليسأند الكمين الأول ضد التقدم الاسرائيلى وأطلق أحمد عطيفى قذيفة أربيجية على إحدى الدبابات ولكنها لم تكن أيضا إصابة مباشرة... وتقدمت دبابات الموجة الثانية تتقدمها دبابة سنتوريون عملاقة، وعلى الفور أعد محمد سرحان القذيفة طلقها ابراهيم سلمان بعد أن جلس القرفصاء بجوار خندق، وأطلق القذيفة من على بعد صغير جدا تدخل فى برج الدبابة وتطيح برأس السائق وإستدارت الدبابة وأصبح مدفعها موجها بشكل كامل إلى أفراد الكمين ومرت ثوانى كأنها الدهر وتتدخل عناية الله لينحنى مدفع الدبابة وكأنه بينحنى احتراما لأبطال السويس و تخرج القذيفة فى الأرض، وعلى الفور يجرى محمود عواد، ويصعد فوق الدبابة ليضع قنبلة فى مدفعها 'تنفجر ويموت كل من بداخلها ثم يطلق ابراهيم سليمان القذيفة الثانية على حامل الجنود العملاق طوباز فيوقفه ولتقف كل الدبابات التى كانت تسير خلفه وإنفتحت النيران على جنود العدو من كل شبر فى ميدان الأربعين فأصيبوا بالذعر والهلع وتركوا الدبابات، وهم يجرون يبحثون عن أى ساتر، ولم يجدوا أمامهم إلا قسم

الأربعين، ودخل بعضهم فى سينما رويال، وبعض المنازل الأخرى فتم القضاء عليهم تماما، وانتاب الذعر دبابات الموجة الثانية التى كانت على وشك دخول ميدان الأربعين فأستدارت هارية وتصادمت فى بعضها البعض واندفع أبطال السويس يصطادون الدبابات المذعورة التى حطمت سور السكة الحديد أثناء دورانها .

وعلى مزلقان البراجيلى تم تدمير دبابتى سنتوريون فهرب جنود العدو وراح الناس يصطادونهم وهم يفرون وليسقط أول شهداء السويس فى ذلك اليوم الشهيد أحمد أبو هاشم شقيق الشهيد مصطفى أبو هاشم، الذى استشهد فى ٨ فبراير ٧٠ وكان أحمد قد رفض دفن شقيقه الأصغر إلا بعد أن يتم تسجيل اسمه ضمن منظمة سيناء ورغم كبر سنه عن أقرانه إلا أنه فعل الكثير وقد ثأر أحمد لشقيقه من أعدائه فقتل الكثير منهم ودمر الدبابات وكان فى قمة الإثارة وإلى درجة جعلته لا يلتفت إلى تحذيرات زملاؤه بأنه يقاتل دون ساتر وفى النهاية سقط البطل شهيدا ليلحق بأخيه بعد أن أدى كل منهم رسالته كاملة.

اليهود يستسلمون .. ولكن

بعد أن تم تدمير معظم المدرعات الاسرائيلية التى دخلت من كل محاور السويس تركزت المعركة فى مبنى قسم شرطة الأربعين بعد أن فر إليه جنود العدو، وعلى الفور تحركت كل

الكمائن لتحاصر مبنى القسم بل إن كل السويس أصبحت تحاصر القسم، وتطلق النيران على من فيه من كل إتجاه ولم تتحرك القوات الاسرائيلية خارج السويس لانقاذ المحجوزين فى القسم فلم يجد هؤلاء المحجوزن مفرا من التسليم فبعثوا مع أحد الجنود المصريين من قوة القسم رسالة إلى قيادة المقاومة التى تحيط بالقسم يطلبون التسليم بشرط ضمان الحفاظ على حياتهم، ويخرج الجندى العجوز بالرسالة ليلتقى بأحد أعضاء منظمة سيناء وهو محمد سرحان وأخبره بالأمر فأخذه إلى محمود عواد قائد مجموعة الفدائيين ثم إلى العقيد فتحى عباس مدير المخابرات العسكرية، والمشرف على المنظمة وتمم الموافقة على طلب الاسرائيليين الذين أشترطوا أن يأتيهم الرد مع نفس الجندى ولكن الرجل أصيب بالهلع والفزع، ورفض العودة إلى القسم مرة أخرى وبذلك فشلت عملية التسليم وإستمر إطلاق النار على القسم.

الشهداء يقتحمون القسم..

تحصن اليهود داخل القسم وكانوا من أمهر قناصة قوات الاحتلال الاسرائيلية.

ولم يعد أمام أبطال المقاومة إلا اقتحام القسم وجادت المبادرة من البطل ابراهيم سليمان بطل الجمباز، ومعه اشرف عبد الدايم وفايز حافظ أمين وابراهيم يوسف ووضعوا خطة

تقضى بأن يقفز البطل ابراهيم سليمان الذى أوقف تقدم دبابات العدو فى الصباح من فوق السور ويعتلى البطل سور القسم ولكن رصاص العدو كان أسرع منه فيسقط شهيدا على السور، ويظل جسده الطاهر معلقا على السور حتى صباح اليوم التالى، ويتقدم البطل أشرف عبد الدايم ليقتحم القسم من الامام، ومن خلفه فايز حافظ أمين يحميه وبعد أن تحركا تحت ستار من نيران رشاش كل منهما فتح قناصوا العدو النيران عليهما ليسقط البطل أشرف عبد الدايم شهيدا على سلم القسم، ويسقط البطل فايز حافظ أمين شهيدا بجوار الخندق داخل القسم، ويستمر القتال حول القسم حتى يحل الظلام وقد أنهكت المعركة وصيام رمضان (فقد كان اليوم ٢٨ رمضان) الآلاف الذين اشتركوا فى المعركة وعندما حل الظلام كانت قوات العدو قد انسحبت بالكامل خارج السويس، بعد أن تركت قتلاها والمدرعات المدمرة والسليمة التى فر جنودها إضافة إلى المحاصرين فى القسم، وكان لابد من حرق الدبابات السليمة الواقفة فى الشوارع خشية أن يتسلل العدو ويستخدمها مرة أخرى وقد قام البطلان محمود عواد، ومحمود طه بهذه العملية الخطيرة إضافة إلى أنهما قد قتلا أربعة جنود اسرائيلين كانوا مختبئين داخل سينماروبال وانتصرت السويس إنتصارا عظيما وأصبحت مقبرة لليهود الذين أرادوا أن يدنسوا أرضها الطاهرة... ولم يجد اليهود حفظاً لماء الوجه إلا الأكاذيب فقد

أذاعت احدى وكالات الأنباء برقية من السويس قالت فيها (احتلت القوات الاسرائيلية كل مدينة السويس تقريبا، وهى البداية الاستراتيجية إلى الطرف الجنوبى من قناة السويس صرح بذلك اليوم الضباط الاسرائيليون فى الوقت الذى كانت فيه طلقات المدافع تنفجر على طول القناة على الرغم من وقف إطلاق النار . وكان الدخان الرمادى يسبح بين المبانى وكان يبدو أن القوات المصرية المعزولة على الجانب الآخر من القناة فى الشرق تقصف المدينة فى محاولة يائسة لطرد القوات الاسرائيلية التى احتلت المدينة، وصرح لى ضابط اسرائيلى برتبة كولونيل عرف نفسه بأنه قائد قطاع مدينة السويس قائلا إن قواتنا داخل مدينة السويس منذ ما قبل وقف اطلاق النار الأول، وقال هذا الضابط أن المدينة محتلة بالكامل تقريبا بإستثناء جيوب قليلة للمقاومة وربما مئات قليلة من الجنود المصرين فى وحدات متناثرة لم يكن من الممكن وصفهم بأنهم يشكلون قوة)

وبالطبع فقد تكشفت هذه الأكاذيب بسرعة البرق وعرف العالم كله أن أبطال السويس قد وضعوا أنف الجيش الاسرائيلى الذى كان يزعم أنه لا يقهر فى التراب بل وداسوا عليها بالنعال، مما اضطر الحكومة الاسرائيلية إلى إصدار بيان رسمى تعلن فيه أنها لم تحتل السويس، وأن قواتها مازالت خارج المدينة وقال المتحدث الرسمى بالحرف (إننا عند

ضواحى مدينة السويس وبالتالى فنحن لا نسيطر على المدينة ... إننا نحاصرها ولكننا لسنا بالداخل) بل إن الجنرال (حاييم هيرتزوج) الرئيس السابق لدولة اسرائيل قد إعترف فى كتابه (حرب التكفير) قائلا ...

(إن الكتيبة المدرعة التى دخلت السويس من ناحية المثلث وكان عدد دباباتها ٢٤ دبابة قد قتل أو جرح عشرون قائد دبابة من قادتها الأربعة والعشرين)

مسرحية الإنذار الهزلى

فى صباح يوم ٢٥ أكتوبر واصل أبطال السويس دورهم فى تأمين المدينة عسكريا فى مواجهة احتمالات عودة قوات العدو لهجومها قبل وصول القوات الدولية، ثم الاستعداد لمواجهة الأيام الصعبة التى بدأت بوادرها تزداد وضوحا مع كل ساعة تمر، وبدأ ذلك بمحاولة إنقاذ مخزن الدقيق الرئيسى من الاحتراق وكان هذا المخزن الذى يقع أسفل عمارة كوماكس قد اشتعلت فيه النيران منذ صباح يوم ٢٤ اكتوبر وفيه اكثر من ٣٤٠٠ جوال دقيق هى كل احتياطى الدقيق الخاص بالسويس وفى صباح ٢٥ أكتوبر وصلت إلى المدينة قوات إضافية من الفرقة ١٩ مشاه من الشرق حيث إختار العميد يوسف عفيفى ١٢ طاقما من أطقم قناصى الدبابات، أغلبهم من المجندين أبناء السويس، وفى ظل كل هذه الترتيبات لجأ اليهود إلى الخدعة

ليدخلوا السويس بعد أن فشلوا فى اقتحامها عسكريا، وكانت الخدعة عبارة عن إنذار للمحافظ بتسليم المدينة وإلا دكوها بالطائرات وبعد مناقشات شاركت فيها القيادة السياسية بالقاهرة ثم رفض الانذار، ولم ينفذ اليهود تهديدهم، واستطاع شعب السويس فى ذلك اليوم إنقاذ ١٤٠٠ جوال دقيق واحترق ٢٠٠٠ جوال، وبعد أن فشلت مسرحية الإنذار عاود العدو قصف المدينة مرة أخرى بالمدفعية والطيران.

وفى مساء ٢٥ اكتوبر أصدر مجلس الأمن قرارا جديدا تحت رقم ٣٤٠ بإنشاء قوة طوارىء دولية يرسلها السكرتير العام على الفور لمنطقة الحرب مع التأكيد على القرار السابق بعودة القوات المتحاربة إلى خطوط وقف اطلاق النار يوم ٢٢ اكتوبر.

صلاة العيد تحت نيران المصانع

كان يوم الجمعة ٢٦ اكتوبر أول أيام عيد الفطر المبارك، وقد حاول اليهود استغلال إنشغال أهل السويس فى صلاة العيد فواصلوا قصف المدينة فى محاولة لإقتحامها ولكن الكمائن لم تكن قد تركت مواقعها، وتصدت للمحاولة اليهودية وصدتها وفى صباح ذلك اليوم أصدر مجلس الأمن أمرا رسميا بتشكيل قوة طوارىء دولية قوامها سبعة آلاف جندى بقيادة الجنرال الفنلندى (إنزوسيلاسفو) قائد قوات الطوارىء فى قبرص على أن يتوجه

فورا ومعه ٩٠٠ جندى إلى السويس، وقد حاول اليهود فى المساء إستخدام عمال شركة النصر للبترول كدروع بشرية يدخلون فى حمايتها إلى السويس، ولكنهم غيروا رأيهم بعد أن وضعوا العمال فى الاتوبيسات وكانت السويس بكل قياداتها الشعبية والعسكرية، وقد قررت منع أى محاولة لتقدم العدو مهما كان الثمن، وعدم الاستسلام لهذه الخدعة وفتح النار فورا، وفى مساء هذا اليوم قدم كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى إقتراحا من شقين

الأول : دعوة المراقبين الدوليين للتوجه فورا إلى نقاط الجيش المصرى والاسرائيلى لمراقبة وقف اطلاق النار

الثانى : السماح بمرور (أجوال) الأطعمة والمياه والأدوية إلى السويس والجيش الثالث.

الفشل الإسرائيلى مستمر

مع صباح ٢٧ اكتوبر قام العدو بمحاولتين جديدتين لإقتحام السويس مبنى الدورة اللاسلكية وأسر من فيها، واقتحم نادى شركة النصر للبترول والعمارات المحيطة به ... ولكن العدو فوجىء بأن المقاومة مازالت قوية وشرسة، ودارت معركة كبيرة عند الزيتية تصدت فيها قوات الكمائن للدبابات القادمة وتم تدمير دبابتين وهربت باقى الدبابات إلى طريق ناصر متجهة إلى نقطة العوايد في مدخل السويس وفى الخامسة مساء بدأت

المحاولة الثانية لاقتحام المدينة وذلك عن طريق محور الهويس حيث تقدم العدو بطابور مدرع تتقدمه دبابة تليها سيارة مدرعة تحمل عددا من أهالى القطاع الزراعى الذين أجروا على ركوبها، وكان على أحد السيارات ميكروفون يدعى أن المحافظ يطلب من المواطنين التسليم والسماح للقوات الاسرائيلية بدخول المدينة ولم ينخدع أبطال السويس بل تصدوا لقوات العدو ودمروا الدبابة الأولى فهربت باقى الدبابات فى اتجاه القطاع الزراعى.

فى نهاية يوم ٢٧ اكتوبر تأكدت اسرائيل أنها لن تحصل من محاولاتها لاقتحام السويس إلا على الفشل الدائم فأرسلت موافقتها على الإقتراحات الأمريكية التى ماطلت من قبل فى قبولها وكانت موافقتها مشروطة بإجراء مباحثات مباشرة مع مصر وطلبت تحديد مكان وتوقيت الإجتماع فوافقت مصر على إجراء هذه المباحثات عند الكيو ١٠١..!!!

مفاوضات الكيلو ١٠١

فى الواحدة والنصف فجر يوم ٢٨ اكتوبر بدأت أول اجتماعات الكيلو ١٠١ وتكون الوفد المصرى من اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيسا، ومعه العميد فؤاد هريدى والمستشار عمر سرى، ورأس الوفد الاسرائيلى هارون بياريف، ومعه عدد من ضباط الجيش، وفى ظهر ذلك اليوم وصلت قوات

الطوارىء الدولية إلى المدينة، وقد حاول بعض الأفراد اليهود من هذه القوات التواطؤ مع الاسرائيليين فحاولت مدرعات العدو الدخول خلف قوات الطوارىء ولكن الكمائن تنبهت لهذه المحاولة وتصدت لها فتراجعت قوات العدو على الفور.

وبدأت قوات الطوارىء منذ الساعة الرابعة فى تحديد أماكن القوات المصرية وأماكن العدو على مشارف المدينة وقد بذل أبطال منظمة سيناء جهدا كبيرا ولعبوا دورا عظيما فى تحديد هذه الأماكن لتكون فى صالح مصر والسويس، واستمرت هذه العملية أربعة أيام لتعيش السويس تحت حصار اليهود وتتواصل مباحثات الكيلو ١٠١ إلي أن يتم توقيع فض الاشتباك التي بدأ تنفيذها يوم ٢٩ يناير ١٩٧٤ لينتهى حصار السويس وقد انتصرت السويس فى معركة الحصار بعد أن استطاعت بالتكامل والتعاون، وإنكار الذات لكل فرد فيها أن تنتصر على قلة الطعام وندرة المياه بل إن السويس طوال فترة الحصار كانت تمارس حياتها العادية تقاتل وتضحك وتغني، وتحتفل بالأحياء مما زاد من احساس العدو بهزيمته وحصاره رغم أنه الذى كان يحاصر المدينة.

الفصل السابع
الحق ما شهدت به الأعداء
شهادة اسرائيلية حول أحداث ٢٤ اكتوبر ٧٣

تقول الحكمة العربية (إن الحق ما شهدت به الأعداء) ولذلك فسوف نقدم خلال الصفحات التالية شهادة اسرائيلية حول أحداث وبطولات أبناء السويس يوم ٢٤ اكتوبر ٧٣ عندما قهر أبطال السويس هجوم الاسرائيليين وأجبروا قواتهم على الفرار بعد أن فقدت الكثير من القتلى والمصابين، وقد نقلنا هذه الشهادة من أحد أهم الكتب التى قدمت حرب اكتوبر بالرصد والتحلل من خلال وجهة النظر الاسرائيلية، ويحمل هذا الكتاب عنوان (التقصير) وقد كتبه سبعة من الصحفيين اليهود الذين رافقوا الجيش الاسرائيلى أثناء الحرب، وشهدوا اندحار جيشهم فى محاولته لإحتلال السويس الباسلة وإذا استبعدنا بعض (البهارات الاسرائيلية) التى حرص الاسرائيليون على (نثرها فوق وجه هذه الشهادة) فى محاولة منهم لحفظ (ماء الوجه) فإذا استبعدنا هذه (البهارات) التى فرضتها عليهم (ضرورة الهزيمة) والفشل الذليل الذى تعرضوا له .... لوجدنا فى هذه الشهادة التى شهد بها الأعداء خير دليل، وأنصع برهان على بطولات أبناء السويس التى يجب أن يتوقف عندها التاريخ بكل الإجلال والتقدير، وقد حرصنا على تقديم هذه الشهادة

الاسرائلية بصياغتها الأصلية وبنفس ألفاظها ودون أى تدخل من جانبنا لتعديل أو تغيير بعض المغالطات والأخطاء التى فرضتها عليهم كما قلنا (ضرورة الهزيمة والفشل) .

قصف الوداع - إنقذنا يا مضمد

فى الساعة ١٩.٠٠ سرى مفعول وقف القتال إلا أن المصريين تمكنوا قبل ذلك من إنزال قصف مدفعى ثقيل جدا على رأس الجسر الاسرائيلى الذى أحدث التحول وقلب حظهم. كأنما أرادوا وداعه).

روى (عاموس) قائد قوة حماية الجسر (كان القصف المدفعى المصرى الأخير مخيفا، وما كدت أدخل إلى مجنزرتى حتى سمعنا الصفير، وقذفت قذيفة بالقرب منها وإحتكت بالفولاذ وأنفجرت على مسافة متر واحد منا. كان الانفجار هائلا، ودخلت الشظايا إلى المحرك وإشتعلت سيارة الوقود، وإنفجرت سيارة الذخيرة إستمر سقوط البارود ربع ساعة كنت واثقا أنها نهايتنا وسمعت تأوهات الجرحى حولنا وأصواتا تستغيث من كل صوب (مضمد .. مضمد) وفجأة ساد الهدوء وشعرت أننا نجونا ... ومن نجا كتبت له الحياة وقد كلفنا قصف الوداع غاليا.

وفى القطاع الجنوبى واصلت فرقتنا (بيرن وكالمان ماجنين) المدرعتان مقاتلة القوات المصرية على مشارف مدينة السويس حيث كانت المعركة أحد أكثر المعارك الدامية ضراوة

فى القتال الذي دار غرب القناة، قال قائد فصيلة مظليين لجنوده الذين إحتشدوا معه داخل مصفحة (وأخيرا نستطيع أن نرى تحصيننا على رصيف الميناء من الجانب المصرى كنت مرة قائد ذلك التحصين وكنت أطل كل صباح على مدينة السويس، والآن أشاهد الرصيف من داخل المدينة.

تحفز المظليون الذين أرسلوا إلى داخل المدينة على المركبات : الباصات والسيارات المصفحة المصرية التى غنمت وسيارات الجيب، والدبابات، وقد ساروا على الطريق الجنوبى المؤدى إلى مدينة السويس، كان ذلك فى صباح يوم الأربعاء ٢٤ تشرين الأول (اكتوبر) وبدت مدينة السويس من خلال الضباب مدينة هائلة ترفل بالخضرة وكان يقطن المدينة، ٢٧٤ نسمة حتى مشوب معارك حرب الاستنزاف وكانت رابع أكبر المدن فى مصر، وظهرت فى أطراف المدينة على ضفة خليجية السويس الأزرق معامل التكرير، ومصانع الأسمدة الكبيرة، وخلال حرب الاستنزاف هجر معظم السكان منازلهم، ولم يبق منهم سوى بضعة آلاف من العاملين فى معامل التكرير ومصانع الأسمدة.

كان المظليون يعتقدون أن سكان المدينة هربوا منها قبل فوات الأوان، وهرب معهم أيضا الجنود المصريين متجهين إلى قمم الجبال جنيفة وعتاقة المطلة على المدينة.

تقدمت القوة متجهة إلى المدينة، وقال أحد المظليين (ساد

هدوء ممتع فعلا وفجأة مر صاروخ (ساجر) فوق رؤوسنا وانزلق فوق رتل المجنزرات على إرتفاع منخفض وقد قطعت زعانف الصاروخ، إصبعين من أصابع أحد الضباط، وراحت المجنزرات تبحث عن مخبأ من الصواريخ، وعندها أطلق صاروخ آخر رأيناه يمر فوق مجنزرة قائد الكتيبة، واقترب منا كان هذا مشهدا مخيفا، فقد انفجر على بعد بضعة أمتار أمامنا تراجعنا إلى الوراء واستغلينا فترة الإنتظار القصيرة إعداد الفطور وفى الوقت ذاته توجهت الدبابات في خط مستقيم نحو قواعد الصواريخ المنتشرة غربى المدينة صدر أمر المظلين بالتحرك مرة أخرى وبسبب ما بدا للعيان كان الطريق إلى المدينة خاليا والمدينة نفسها مهجورة، وكانت المصفات والباصات ملأى بالمظليين المتمرسين فى القتال ومن بينهم من حرر القدس القديمة خلال حرب الأيام الستة، ومن نال النياشين، وحظى بشهرة فائقة بسبب دورهم فى معارك جزيران (يونيو) ١٩٦٧ وكان من بين هذه القوة جنود خدموا فترة طويلة فى الدوريات داخل قطاع غزة. وألقى بالكثير منهم هناك وإشتركوا فى آخر معركة من الحرب كـ (مسافرين متطفلين) ولم يتوقع أحد أن تنشب معركة هناك داخل المدينة.

مدينة الأشباح تفتح أبواب جهنم

إلتحق (نيفى بلايخ) بالقوة الفرعية التى إنضمت التى وحدة

المظليين . وعندما إندلعت الحرب كان معاونا في المدرسة الضباط في دورة ضباط اليات ونظرا إلى أنه كان سائقا في وحدة نقل قبل إلتحاقه بالدورة أرسل إلى أحد مراكز النقل في سيناء، وخلال الإختراق إلى غربي القناة كان سائقا في وحدة نقل التموين والذخيرة عبر الجسور على القناة.

وتحدث (نيف) عن اليوم الذي سبق معركة السويس معان (بلغنا في ذلك الصباح أن قوة مظليين وصلت بطوافات، ونظرا إلى عدم وجود ما يكفي من السيارات لديهم كانوا بحاجة إلى بعض الشاحنات بالمعدات وصعد الجنود على الباقي ثم إتجهنا جنوبا وتحركت القوة في طوابير ثلاثة، وسرنا نحن بالشاحنات في الوسط كان هناك جيب لقوات العدو فإنسحبت دباباتنا إلى الوراء، وتركت علامات لقائد قوتنا للجلاء عن المنطقة، ولكنه أمرني بمواصلة السير فحاولت مناقشته ولكن لا حياة لمن تنادي، واخيرا سدت دبابة واحدة الطريق فتراجعت نحو ٥٠٠ متر وإنتشرت الشاحنات وراء التل كتشكيل الدبابات، كان هناك موقع محصن فتلقينا تعليمات بالاستيلاء عليه، وبهذه المناسبة كان قائد الكتيبة خبيرا استراتيجيا فذا وتنبأ بما سيحدث في المعركة

(طهرنا الهدف وجلسنا نراقب عمليات طائرات سلاح الجو في تلك الأثناء وصلت إلينا المصفحات وانتقل القائد إلى واحدة منها، وبقيت أنا مع الجنود على الشاحنات، وفي الوقت ذاته

بلغنى أن مدفعيتنا صوبت على مرتين خطأ. لقد جعلت العناوين الحمراء لشركة المشروبات (كريستال) على ظهر شاحنتى تبدو وكأنها سيارة عربية، فقد أصبحت شاحنة المشروبات الخفيفة التى كنت أقودها المحملة بالجنود المقاتلين علامة بارزة فى الميدان، فسارعت إلى تمويهها بالوحل، ولكن ينقصنى سوى قذيفة اسرائيلية لتدمرنى، تلقينا أمرا خلال الليل بالإلتحاق بقوة الدبابات التى اقتربت من مدينة السويس، وكان علينا مع قوة مشاة محملة بالمصفحات الدفاع عن الدبابات فى حال قيام سلاح المشاة المصرى بمحاولة الإنقضاض عليها، وشرحوا لنا أنه علينا الاستلاء على مشارف المدينة لمحاصرة الجيش الثالث، سرنا طوال الليل وكانت الشاحنات تغطس فى الحفر كل لحظة فتدفعنا الدبابات إلي الأمام، ثم وصلنا إلى بعد أربعة كيلومترات من مدينة السويس، وفى الصباح الباكر تحركنا نحو المدينة، فمررنا بقاعدة صواريخ وطهرناها ثم صعدنا إلى الشاحنات وتابعنا التحرك نحو المدينة وكانت تقف على مشارف المدينة قوة من الدبابات ومصفحات سلاح المشاة والتفت قوة أخرى حول المدينة ووصلت حتى الأدبية ولكن المدينة نفسها لم تكن مطهرة دخلت قوة المظليين إلى المدينة وتقدمت الدبابات بعد تمهيد بالقصف المدفعى وروى أحد المقاتلين:

(بدت المدينة كمدينة أشباح فمن الجهة اليمنى مبان شاهقة، متعددة الطبقات، ومن الجهة اليسرى أرض مكشوفة،

ولم يفصل بين الشارع والمنطقة الصحراوية سوى خط السكة الحديد على الحاجز الترابى كان الشارع الرئيسى الذى دخلنا فيه واسعا وتوازيه حارة على إمتداده)

وروى (شلومو عواد) المصور الصحفى االذى رافق قوة المظليين (ترجلت من سيارة الجيب أجمع بعض الرسائل، وتذاكر القطار المبعثرة هناك، ولم يظهر أى كائن حى).

روى المعاون نيف(إتضح فى الساعة العاشرة صباحا أن الدبابات دخلت المدينة واستدعت قوتنا للدخول وراءها، وسارت فى المقدمة مصفحة ثم شاحنات مكشوفة وعليها جنود، وفى المؤخرة مصفحة أخرى وسار وراءنا باصان محملان بالجنود. مررنا فى الأحياء السكنية فى مدخل المدينة ودخلنا الجزء القديم منها وكله مهدم ومصاب، سرنا فى الحارة الرئيسية على الجانب الأيمن بحسب جميع قوانين السير، وبعد أن توغلنا كيلومترا ونصف بدأ الاحتفال (أطلقوا علينا النار من جميع المنازل ومن جميع الشبابيك والمنافذ بالأسلحة الخفيفة، وقنابل البازوكا والقنابل اليدوية).

وعندما دخلنا المدينة خرجت منها بسرعة مجنزرتان ودبابة كلها مصابة، ولدى بدء إطلاق النار قفزنا من الشاحنات والتصقنا بالمنازل على الجانب الأيمن؛ فرحت لخروجى من حجرة القيادة فى الشاحنة فالسائق هو هدف القناصين الأول دائما، لم تكن معى حتى خوذة كان معى رشاش (عوزى) أخذنا

نطهر بيتا تلو الآخر وجرح منا البعض على الفور، وأمكن إنتشال أول جريحين بسيارة جيب، وانتشل آخرون بالمجنزرات والدبابات التى كانت تقذف أتونا من النيران نحو المنازل التى تطلق منها النار، وقد توقف هذا أيضا واضطرت الآليات المدرعة إلى الإنصراف بقينا محجوزين داخل المدينة جنود كثيرون وصلنا حتي المفرق الأوسط فى الشارع الرئسى، وقطعناه ولكن تصدت لنا منازل من الجهة اليسرى حيث صلونا من هناك بصورة جيدة.

الخلاص المستحيل

قسم القائد القوة إلى جزئيين: واحد إلى يمين الطريق والآخر إلى يساره أما هو فقد جرح عندما خرج جنود مصريون من المنازل رافعى الأيدى متظاهرين بالاستسلام، ولكنهم ألقوا القنابل اليدوية عندما إقتربنا منهم، ورفض القائد إخلاءه. ولم نعرف فى هذه المرحلة أن خلاصنا من هناك مستحيل، ولم نعرف من أين يطلقون النار. ففى الحقيقة كانوا يطلقون النار فى كل مكان، ولم نستطع التحرك إلا أى إتجاه ولا حتى إلى الوراء.

دخلنا أحد المنازل فإتضح إنها أسوأ مصيدة، ألقيت علينا القنابل اليدوية من الطابق الثانى والثالث ومن المنازل المجاورة على الجانب الآخر من الشارع أطلق القناصون نيرانهم صوب

الأبواب فكان خروجنا منها مستحيلا وبقينا محجوزين فى بعض المنازل حول المفرق، ولم يكن بيننا أى إتصال سوى بأجهزة اللاسلكى كان مجمل ما تقدمناه من المكان الذى توقفت فيه الشاحنات نحو ٤٠٠ متر وسمعت القوة التى بقيت خارج المدينة بوضعنا فأخذت تقدم لنا مساندة مدفعية.

كانت الانطباعات تنبأ بأن مدينة السويس خالية من الناس كانت خاطئة فبالإضافة إلى السكان الذين بقوا فيها فزت إلى المدينة فلول الجيش الثالث غربى القناة، والتحقت بها ثلاث كتائب كوماندوز مصرية كانت ترابط فى المدينة وإختبأت بين المنازل، ولم تتوقف عن قنص الجنود الاسرائيليين المحاصرين حتى ساعات الليل وتمدد الجرحى على الأرصفة ولم يكن بالإمكان إلتقاطهم وقد جرح بعضهم مرات عديدة حيث كان يصيبهم فى كل مرة المزيد من العيارات النارية، وبعد مضى بعض ساعات دخلت المدينة بعض المجنزرات والدبابات التى حضرت لإلتقاط الجرحى، ولديها أوامر بإخلاء المصابين بالجروح الطفيفة والقتلى وترك المصابين بجروح بالغة فى الأماكن المخفية مع الجنود الأصحاء خوفا من ألا يحتملوا الإهتزازات فى الطريق.

تخاريف اليهودى السابع..

روى نيف (لم يكن معنا مضمد فى المنزل الذى إختبأنا فيه،

وكـان القـائد فى منزل مـجاور فـأمـر بعض الجنود بالخـروج لإخـتبار إمكان النجـاة.. وفى تلك الأثناء وصلت مـجنزراتنا إلى المفرق فساعدنا على إلتقاط الجرحى وتحميلهم عليها ، ولكننا لم نستطع العودة إلى المنزل الذى خرجنا منه، فحاولنا العودة إلى حيث بقيت شاحناتنا لنتخلص من المصيدة فى المدينة، وكان من الواضح لنا فى هذه المرحلة أنه لابد من الإنسحاب.

كنا سبعة رفاق إقتربنا من الشاحنات التى حرقت منها إثنتان فقط فأطلقوا علينا النار فأختبأنا فى صالون الحلاقة فى الطابق الأسفل من منزل مجاور، وبقينا محجوزين هناك ساعتين تقريبا، وخرج من المنطقة التى إعتقدنا أنه تم تطهيرها جنود مصريون برشاشات (كلاشينكوف) ولكنهم استطاعوا الفرار عندما اطلقت عليهم النار خطأ وفجأة إقترب منى ثلاثة جنود مصريين، وكان على مرمى الرصاص منى فوجدت نفسى فجأة غير قادر على اطلاق النار عليهم. وأخيرا وبعد جهد جهيد أطلقت النار فقتلت واحدا منهم وأصيب أخر وهرب الثالث، حاولت الخروج فأطلقوا على النار مرة أخرى، وانفجرت شاحنة محملة بالذخيرة كانت واقفة بالقرب منا . ففرقتنا شدة الانفجار إلى صالون الحلاقة.

سمعنا شخصا على سقف المنزل إكتشفناه بعد أن أطلق أحد الجنود الرصاص عن عصبية كما يبدو. خرجت زحفا ثم شاهدت جنديا مصريا حاول إلقاء قنبلة يدوية علينا فأطلقت عليه

النار وإنتسف من القنبلة التى فى يده، وفجأة نسف صالون الخلاقة بأسره، ولم أعرف سبب الإنفجار ربما كان بسبب شاحنة الذخيرة أو بسبب صاروخ أو قذيفة مدفع أطلقنا النار صوب الباب لإعتقادنا أنه ألقيت قنبلة فغمرنا الغبار جميعا ولكننا لم نصب وصرخت على الجميع بالخروج).

أصبح نيف بصورة طبيعية قائد مجموعة الجنود الصغيرة التى حاولت الخلاص من الآتون دون أن يعينه أحد، كان جميع جنود هذه المجموعة أكثر أقدمية وخبرة منه وأصبحوا فى وقت لاحق مدينين بالجميل للمعاون الشاب الذى (أخرجنا من هناك).

وتذكر نيف (بدأنا بالإنسحاب فى الساعة السابعة أو الثامنة مساء وركضنا فى المقدمة، وفقد كل إتصال مع سائر القوات الذين بقوا كما يبدو فى داخل المدينة حتى منتصف الليل، وأطلقنا النار داخل الأزقة الصغيرة، وألقينا قنابل دوية على كل ما وقعت عليه عيوننا وصلنا حتى آخر مصفحة لنا وكانوا يطلقون علينا النار طوال الوقت بصورة مخيفة، ولكننا قفزنا إلى داخل المصفحة الواحدة تلو الآخر، ووقفنا فيها وأطلقنا النار فى جميع الإتجاهات، واستطعنا تشغيل محرك المصفحة وخرجنا من المدينة بسرعة كانت دباباتنا على مدخل المدينة وتطلق النار إلى داخلها فأخذنا نشعل الأضواء ونطفئها كى لا يطلقوا النار علينا، وصلنا إلى محطة تجميع الجرحى فإتضح هناك أننا

الوحيدون الذين استطاعوا الخروج وظل الباقون محجوزين بقينا نحن السبعة سويا ولم نرد مفارقة بعضنا البعض).

بعد إنتهاء الحرب حصل نيف على إجازة وسافر إلى بلدته وقبل سفره حمله قائده رسالة أشاد فيها بعمله (لكى يكون لديه ما يريه لوالده) على حد قول نيف، وأضاف (كان الجميع هناك مسرورين منى وقالوا إن هذا جميل من شاب تل أبيب لم يساعد الحظ مقاتلين آخرين ظلوا محجوزين فى مدينة السويس . بالمقدار نفسه، ونجح أحد سائقى الباصات فى القفز إلى الرصيف، وتشغيل الباص والعودة به فى إتجاه خلفى دون الوقوع أية إصابة بينما بقى سائر الجنود محجوزين وسارع بعضهم إلى الإختباء وراء حاجز السكة الحديد القريب.

لم نعد نحتمل أكثر..!

تذكر (شلو مو عواد) المصور الصحفى (اطلقوا علينا النارمن كل نافذة ولم يكن هناك منزل لم يطلقوا منه النار، وكان الجرحى ممددين على الطريق، يستغيثون فإنطلق المظليون نحوهم فى محاولة إنقاذهم من النيران، فأصيب بعضهم أيضا وسمعت أيضا صرخات إستغاثة من داخل الباصات المصابة.

وألقى الجنود المصريون الذين تحصنوا داخل المنازل قنابل يدوية علينا دون أى جهد. وببساطة ألقوها من النوافذ وتمدد الجرحى فى وسط الطرق. وأخذوا يتلقون الرصاصة تلو

الأخرى. وكانت أجهزة اللاسلكى تولول دون انقطاع (نطلب المساعدة، لم نعد نحتمل أكثر من ذلك، وتلقت مصفحة يوس قائد القوة إصابة بازوكا مباشرة، وجرح القائد وجرح الرجال الذين كانوا معه أيضا.

روى أحد جنود القوة (فى تلك اللحظة بينما كان اطلاق النار فى ذروته توقفنا بالقرب من مبنى بدا وكأنه محصن، وقررنا القفز إلى داخل ساحة هذا المبنى لكى نحاول تحديد مصدر النار، وإزداد إطلاق النار وشاهدنا عددا من الجنود المصريين خارجين من المبنى فأطلقنا النار عليهم وأصبناهم وتمكن بعضهم من الفرار).

ودخل ثلاثة جنود وهم رد نى حاخام وأباليل الذى قدم من كندا ليشترك فى الحرب ودافيد زوهر إلى المنزل لتطهيره من الجنود المصريين الذين تحصنوا به.

قال (دافيد زوهر) بدأنا الانقضاض وإذ بالذخيرة تنفذ وبقى المصريون فى الطابق الثانى من المنزل واستولينا نحن على الطابق الأول، ثم دخلت مفرز أخرى لمواصلة المهمة.. واكتشف المظليون دشمة فى الساحة وألقوا إلى داخلها قنبلة فوسفورية فخنقهم دخانها وتم تطهير الدشمة وعلى الفور واصل المظليون الإندفاع إلى داخل غرف المنزل... وأضاف (خرج من أحد الغرف ثمانية من رجال الشرطة المصريين رافعين أيديهم وأخرجناهم من المبنى) وأنهت المفرزة مهمتها فى تطهير

الطابق الثانى خلال عشر دقائق بعد أن إصطدمت بجنديين مصريين وأصابتهما.

والآن بعد أن أصبح المظليون داخل المبنى لاحظ المصريون ما يجرى وبدأوا يطلقون النار من البازوكا على الغالب صوب المبنى الذى اتضح للمظليين بأنه مركز شرطة، وروى دافيد : (تطايرت علينا أجزاء من الجدران) ولكن المصريين لم ييأسوا فحاولوا تنظيم هجوم مضاد لاحتلال مبنى الشرطة من جديد، وخلال الهجوم إستطاع جندى مصرى التسلل إلى داخل المبنى وإلقاء قنبلة فرآه (دانى عوزى) وأطلق النار عليه من مدى قريب فأصابه.

أماه أريد أن أعيش

وتمركز المظليون فى المبنى، وكان الهاتف يدق دون أن يرد أحد فدخل شرطى مصرى لم يكن يعرف أن المبنى قد أحتل كى يحذر رفاقه من إقتراب الاسرائيلين فلاحظه رفيق له شرطى مصرى جريح ممدد على المدخل، وهو يدخل فلم يحذره من الدخول بل شجعه فدخل ووقع فى الأسر.

كان الجرحى الاسرائيليون ممددين فى الشوارع ويستغيثون، وحاول الجنود الاسرائيليون ضرب المصريين المختبئين وراء أكياس الرمل المثبتة فى النوافذ وأخذ إطلاق النار يعربد بكل شدة، إنتشل (شلومو عواد) جريحا وأراد إدخاله إلى أحد

المنازل لمعالجته فوقف بالقرب من الباب، وإنقض مظلى آخر لتطهير المنزل وما إن إقترب من الباب حيث أصيبت خوذته وسقطت عن رأسه ثم رأى تحتها قبعة محاكة. وألقوا قنبلة يدوية إلى داخل المبنى ثم دخلوا، وبعد مرور دقيقة أو دقيقتين حيث كان الجرحى عند المصعد دحرج جندى مصرى قنبلة يدوية على السلالم الداخلية وتم داخل المبنى نفسه تصفية سبعة جنود مصرين خلال وقت قصير. طلب الجنود الاسرائيليون المحجوزين المساعدة وطالبوا بإخلائهم، وتصاعدت من الطريق صرخات الجرحى (أماه أريد أن أعيش) وقد ضاعت تلك الصرخات وسط أزيز الرصاص وصوت الانفجارات، وبحث المظليون عن منفذ فى مبنى الشرطة للتخلص من الحصار، وحاولت دبابتان الحضور لمساعدتهم ولكن نظرا إلى عدم وجود أجهزة لا سلكي معهم مر رجال المدرعات بهم بسرعة ووصلوا إلى أحد المفارق ثم عادوا كما جاءوا تحت النيران الشديدة، وحاول المصريون إحتلال المبنى مرة أخرى ولكنهم صدوا ثم بدأت معركة قنص حيث أخذ المظليون يصلون بين أشياء أخرى مقهى أختبأ فيه ثمانية جنود مصريين.

عشرات الجرحى بلا منقذ

كان الوضع حرجا فقد تكبدت القوة الاسرائيلية عشرات الجرحى، ولم يستطع أحد إنقاذهم ولم يكن بالإمكان تأمين

مساعدة لهم من قيادة المنطقة الجنوبية، خيم الليل وفى الظلام شوهد اللهب يتصاعد من المصفحات الاسرائيلية، وفجأة سمع إنفجار شديد لخزانات الوقود وانطلقت صرخة قوية من جندى داخل المصفحة التى تلتهمها النيران، واستطاع هذا الجندى القفز فى اللحظة الأخيرة من المصفحة المشتعلة وإنطلق نحوه مضمدان وأدخلاه إلى المبنى وأخذت الذخيرة تنفذ وكان المصريون يطلقون النار من فوق سطوح المنازل المجاورة ولم يكن للمظليين ما يردون به عليهم، فجمعوا ذخيرة من الرفاق الجرحى وردوا بإطلاق النار صوب أهداف محددة ولما كان المصريون قريبين منهم ألقوا عليهم قنابل يدوية وفى مرحلة معينة خفت النيران المصرية وشاهد المظليون فى منزل مقابل مركز الشرطة جنودا مصريون يتجولون بحرية ونادوا عليهم بالعربية للإقتراب، وإقترب أحدهم حقا حتى دخل مبنى الشرطة، وكان (رافى غنش) ينتظره هناك فأمره برفع يديه فهرب المصرى بينما يطلق رافى النار وراءه دون أن يصيبه أما المظليون الذين تمركزوا داخل المنازل فانصرفوا طوال الوقت تقريبا إلى إنقاذ الجرحى ومعالجتهم وإطلاق النار صوب الجنود المصرين، وأطلقوا النار أرضا صوب قوات كبيرة كانت تسير بعيدا داخل المدينة.

وفى أسفل إشتعلت المصفحات وانفجرت الذخيرة التى كانت داخلها وبذلت محاولات لحصر مصادر اطلاق النار وركض

(إيلى شفارتس) قائد الفصيلة على الطريق وهو جريح محاولا إكتشاف وجود المصرين بدقة، وكان يتمركز داخل أحد المنازل عشرة جنود اسرائيليين من بينهم أربعة جرحى ولم يعرفوا مكان القوات الأخرى، وصدرت إليهم تعليمات مفصلة باللاسلكى تحدد المكان الذى عليهم الوصول إليه محملوا الجرحى على ظهورهم، والتحقوا بقوة أخرى كانت على مقربة منهم وفى النهاية إلتحقت القوة بالجنود المحاصرين فى مبنى الشرطة .

الإنقاذ من قلب الرعب

بدأ الخلاص يلوح فى الأفق واستعدت القوة للنوم والحراسة، وفى الليل وتحت جنح الظلام تسلل بعض الجنود الاسرائيليين إلى المجنزرات لكى يحضروا منها ما تبقى من ذخيرة ومؤن ووجدوا داخل إحدى المجنزرات (يفتال)، وهو مضمد ميدانى حظى بوسام خلال حرب الأيام الستة مصابا فى رأسه. فأنتشلوه من داخل المجنزرة ونقلوه إلى مبنى الشرطة، إلتقطوا فى غرفة عمليات القيادة الجنوبية فى سيناء الرسائل اللاسلكية التى بعثت بها القوة الاسرائيلية المحاصرة، وكان من الواضح أنه إذا لم يتم إنقاذ القوة من داخل المدينة خلال ساعات الليل فسيتقرر مصيرها فى الصباح وحاول (نوديك) قائد السرية وهو أحد الذين احتلوا تلك الذخيرة خلال حرب الأيام الستة أن يحدد للقيادة مكان وجوده وأمره الجنرال (غوش) بالصعود إلى

السطح وأن يصف له باللاسلكى ما تشاهده عيناه وفى غرفة العمليات تناول الجنرال صورة جوية لمدينة السويس، وتابع أوصاف (دوديك) وفى نهاية جهد استمر وقتا طويلا استطاع الجنرال تحديد موقع المنزل حيث كانت الوحدة الاسرائيلية محجوزة فيه داخل المدينة، ومنذ تلك اللحظة أخذ الجنرال يوجه (دوديك) وجنوده العشرة بكيفية الخروج من المصيدة وهو يرشدهم باللاسلكى بموجب الصورة الجوية، وفى الساعة الثانية ليلا انطلقوا فى الطريق وروى (دوديك) صدر الأمر بالسير على الطريق الرئيسى حتى الخروج من المدينة مسافة أربعة كيلومترات ولكن كان من المستحل السير على الطريق الرئيسى فقد كان مليئا بالقوات المصرية بدأنا السير ومررنا بالقرب منها. سرنا بهدوء وبينما كنا نسير على الطريق وطأنا على صفائح وقطع من الحديد وحدثت ضجة هائلة، وأخذنا نرتجف من الخوف. وعبرت القوة الآزفة وسمعت أصوات الجنود المصريين أمامها ووراءها وفى حالة واحدة على الأقل مرت على بعد مترين فقط من الجنود المصريين، وروى (رفائيل غنيش) اعتقد المصريون أننا منهم ولم يسألوا أسئلة.

إصطدمت أيضا بعض المفارز بجنود مصريين واشتبكوا معهم وأصابوا بعضهم ثم واصلوا السير وسار بعض الجرحى مشيا على الأقدام، وفجأة إختبىء فأقتربوا بحذر واكتشفوا حامله جنود اسرائلية وكان رجال المدرعات الذين كانوا فى

الموقف الذى وصل إليه المظليون متوترين فقد كانوا يتابعون طوال الليل جهود الإنقاذ اليقظة وأما قائد السرية المدرعة فلم يسيطر على إنفعاله : (يا رفاق خذوا سجاير - خذوا سجاير) وقال.(عندما تصلون إلى هذا المصباح تستطيعون أن تغنوا وترقصوا) وواصلت القوة السير حتى وصلت إلى مكان أمين.

كانت عقارب الساعة تشير آنذاك إلى الساعة ٣٠ ٤ فجرا.

كبدت المعركة التى دارت فى مدينة السويس قوة المظليين الاسرائيلية خسائر جسيمة، ولكن رغم الخسائر وقفت القوة على مشارف المدينة وبينما كانت المعركة في مدينة السويس مستمرة مرت القوة المدرعة التابعة لغرفة (ماجين) على المحور الذى يلتف حول السويس وانطلقت فيه حتى ميناء الأدبية ولكن لم يتم إحراز هدف الهجوم الاسرائيلى غربى القناة بأكمله فلم يستطع الجيش الاسرائيلى محاصرة الجيش الثالث فى القطاع الشمالى.شرق القناة.

الفصل الثامن
مستشفى السويس
ملائكة الرحمة والبطولة...

أعتقد أن البطولة معنى أكبر كثيرا من مجرد حمل السلاح ومواجهة العدو وجها لوجه لأن البطولة فى معناها الأسمى والأشمل تمنى أن يحمل كل انسان (سلاحه) مهما كان هذا السلاح ليقاتل بإخلاص وصدق في مجال عمل هذا السلاح فالكاتب يقاتل بقلمه، والفلاح يقاتل بفأسه والعامل يقاتل بآلته، والطبيب يقاتل بمبضعه... وإذا تمكن أى شعب من تحقيق (الهارمونى الكامل) بين كل فئاته فى (سيمفونية القتال) فسوف يحقق النصر مهما كانت قوة أعدائه، ولقد خرج الشعب المصرى من حرب اكتوبر ٧٣ بمجموعة من الملاحم والدروس لو سرنا على نهجها لاستطعنا الانتصار على كل المشاكل والمعوقات التى تقف في طريقنا، ولقد كشفت حرب اكتوبر عن المعدن الأصيل للشعب المصرى ذلك المعدن الذى إتضح بجلاء لكل العالم على أرض السويس وإذا كان الفدائيون مع الجيش والشرطة قد استطاعوا حسم (معركة السلاح) وجعلوا من أرض السويس مقبرة لليهود بعد أن كشفوا زيف الأسطورة الكاذبة للجيش الذى لا يهزم، ورغم هذه البطولات فى مجال المعركة.فقد كان هناك البعض ممن لم يحملوا السلاح ولكنهم

خاضوا معركة ربما أتيحت لهم فى حدود الممكن إنهم، أسرة مستشفى السويس هؤلاء الأبطال الذين قدموا الكثير والكثير من البطولات فى صمت وبكل الإخلاص والجد والصدق إنهم جميعا أبطال ويستحقون الإشاده والتكريم، بداية من الدكتور الشهيد محمد أيوب حسين قائد كتيبة العمل الطبى إلى أصغر عامل فى مستشفى السويس وإذا كنا سنقدم بعض النماذج البطولية العاملين فى المستشفى فلن يكون ذلك لأن النماذج التى سنقدمها هى (الأفضل) ولكن لأن ما حدث فى مستشفى السويس منذ ٦ اكتوبر ٧٣ وحتى نهاية حصار السويس فى ٢٩ يناير ٧٤ يستحق الكثير من الدراسات الخاصة لكى نقدم للأجيال الجديدة (نموذج القدوة الغائب) والذى نبحث عنه بكل السبل.

وقد بدأت مستشفى السويس تمارس دورها الفاعل بقيادة الدكتور الشهيد محمد أيوب ومعه الدكتور سمير شوكت منذ أن بدأت حرب اكتوبر حيث كانت المستشفى تستقبل الشهداء والجرحى ولكن الوضع أصبح أكثر خطورة بعد أن أصبح الأعداء على أبواب السويس، وعلى الفور أصبحت المستشفى وحدة عصرية لها طابع خاص منذ ٢٣ اكتوبر فقد تم اعداد الاسرة وغرف العمليات، والتجهيزات الطبية والجراحية والدواء اللازم وكل ذلك يتم رغم القصف الشديد للمدينة بطائرات ومدافع الأعداء، وأصوات الإنفجارات تدوى فى كل مكان ومع

ذلك لم يتوقف طبيب أو مسعف أو ممرضة أو صيدلى أو عامل عن العمل فعشرات الأطباء والممرضات والصيادلة والعمال كانوا يقضون الليالى الطويلة دون نوم أو راحة وكل منهم يتسابق للتبرع بدمه لإنقاذ الجرحى.

وأصبحت المستشفى مخزنا كبيرا للسلاح الذى كان فى حوزة الشهداء والجرحى وقد كان لهذا السلاح الدور الأكبر فى حسم المعركة ٢٤ اكتوبر ٧٣، وذلك بعد أن تم توزيعه على كل من يجيد حمل السلاح بل أن بعض الأطباء والعاملين بالمستشفى قد حملوا السلاح ودافعوا مع أهل السويس عن المدينة وقد حمل الأطباء أيضا السلاح للدفاع عن المستشفى وحراستها ولم يكتف الأطباء بتقديم العلاج للمرضى، بل كانوا يطعمونهم بأيديهم ويحضرون لهم الماء رغم صعوبة ذلك وفى أحيان كثيرة كانوا يقدمون الجلوكوز كبديل للماء، وإذا كان إنقطاع الماء عن أى مستشفى يمثل كابوسا مزعجا إلا أن الكابوس الأكثر إزعاجا هو إنقطاع الكهرباء وقد كان أطباء المستشفى يجرون العمليات الجراحية تحت أى إضاءة بعد إنقطاع الكهرباء وبعد إزدياد عدد الشهداء والجرحى أصبحت المدينة مهددة بإنتشار الأوبئة الخطيرة خاصة بعد حدوث الثغرة حيث أصبح بالمستشفى أكثر من ١٤٠٠ جريحا غير الشهداء فكان لابد من تحصين الجميع من المدنيين والعسكريين ضد الكوليرا - الجدرى - التيفوئيد وكان لابد أيضا من رش

المبيدات داخل العنابر للقضاء على الذباب والناموس وبعد أن حاصر اليهود المدينة حدث نقص خطير فى الدماء والأكسجين وتم حل مشكلة الدماء بتبرع الأطباء والعاملين فى المستشفى بدمائهم أما مشكلة الأكسجين فكانت صعبة، وتم حلها عن طريق استخدام أجهزة (أيمو) وهى أجهزة هواء تساعد على سهولة التنفس من الهواء الطبيعي وبفضل الله نجحت جميع العمليات الجراحية التى أجريت تحت كل هذه الظروف الصعبة؛ وكانت المستشفى تعانى من بعض النقص فى العاملين فتطوع العديد من المواطنين لكى يقوموا بالأعمال التى تتطلب قوة جسدية حتى يتفرغ الفنيون والأخصائيون للأعمال الطبية، وعندما نقصت الأطعمة داخل السويس قرر كل العاملين بالمستشفى إنقاص وجباتهم الغذائية وأكتفوا فى كثير من الأحيان بوجبة طعام واحدة فى اليوم، وقد عمل الطبيب إلى جوار العامل فى أعمال النظافة العامة وتوزيع مياه الشرب والأغذية ونقل المصابين والشهداء وحمل السلاح وإعداد أخشاب الأشجار للطهى ونقل مياه الآبار لإستخدامها فى النظافة وإطفاء الحرائق وذلك حفاظا على مياه الشرب النقية من النفاد.

الشهيد محمد أيوب

الدكتور محمد أيوب حسين كان مديرا للشؤون الصحية عند

بداية حرب اكتوبر وعلى الفور جعل من مستشفى السويس مقرا له، ولم يغادرها على الإطلاق وكان قدوة ومثلا يحتذى لكل العاملين معه، وأثناء الحصار تمت ترقيته الى درجة مدير عام فلم يفرح بل قال (إننا فى الحصار الان ولم أكن أتمنى هذه الترقية فى هذا الوقت بالذات .. كنت أتمناها عندما تحقق السويس النصر... إن مصر كلها الآن فى شدة).

وتقديرا لجهده العظيم أراد الدكتور محمود محفوظ وزير الصحة فى ذلك الوقت رئيسا لبعثة الحج للوزارة ولكن الدكتور أيوب رفض هذا التكريم وقال لمن حوله (إننى لن أترك السويس فى هذه الأيام ... ولن أترك مكانى بينكم وعند النصر إن شاء الله سنكون صحبة فى الحج والزيارة).

وواصل الدكتور أيوب الليل والنهار، ونتيجة لهذا الجهد الرهيب يسقط مريضا ويصاب بنزيف حاد فى المعدة بل ويشاء الله تعالى أن يسقط هذا البطل شهيدا يوم إنتهاء حصار السويس وكأن الله قد أراد ألا يرفع إليه هذا البطل إلا بعد أن يؤدى دوره كاملا فى خدمة وطنه، وبعد أن يرى الإنتصار الذى شارك فيه ومن المفارقات العجيبة أن يكون جثمان الشهيد البطل الدكتور محمد أيوب حسين أول من يخرج من السويس بعد افتتاح طريق السويس القاهرة بعد إنتهاء الحصار حول المدينة.

شهداء الصحة فى السويس
أثناء الاستنزاف وحرب اكتوبر

١- الشهيد السيد ابراهيم سمير صبر كاتب بالهلال الأحمر بالسويس استشهد فى خدمة المجهود الحربى يوم ١٩٧٠/٦/٢٩.

٢- الشهيد رضا مرسى على كهربائى سيارات بمديرية الصحة استشهد فى خدمة المجهود الحربى يوم ١٩٧٠/٧/٢٨.

٣- الشهيد محمود على محمود طباخ بمستشفى الصدر استشهد فى خدمة المجهود الحربى يوم ١٩٧٠/٧/٢٩.

٤- الشهيد عبد العزيز عمر أحمد كاتب بقسم التموين الطبى استشهد أثناء الاستدعاء للقوات المسلحة يوم ١٩٧١/٦/١١.

٥- الشهيد محمد محمد الباسطى فودة كاتب بمستشفى الحزمى استشهد فى خدمة المجهود الحربى يوم ١٩٧٣/١/٢٨.

٦- الشهيد حامد محمود عبد الله عامل بمستشفى السويس العام استشهد فى خدمة المجهود الحربى يوم ١٩٧٣/٦/٨.

٧- الشهد رمضان زيد أبو الوفا كاتب بمدرية الصحة استشهد أثناء الاستدعاء للقوات المسلحة يوم ١٩٧٣/١٠/١٤.

٨- الشهيد أحمد أنور الذكى فنى قسم الأشعة بمستشفى الصدر استشهد أثناء الإستدعاء للقوات المسلحة يوم ١٩٧٣/١٠/١٤.

الفصل التاسع
أبطال صنعوا التاريخ ... فكيف ينساهم التاريخ؟

. عندما كنت فى طريقى إلى السوس لمقابلة أبطالها الأحياء (أطال الله فى أعمارهم) كنت أعلم مدى صعوبة المواقف التى ستقابلنى بعد أن علمت بمشاعر (الإحباط) التى يعيش فيها معظم هؤلاء الأبطال نتيجة التجاهل غير المسبب لهم ولدورهم العظيم... ولذلك فقد توجهت مباشرة إلى الكابتن غزالى السابق معرفتى به فقدم لى كل عون ممكن لتسهيل مهمتى، وعلى مدى لقاءاتنا الكثيرة كان يحلو لى مداعبته بكلام صادق تماما فأقول له (إنك كنت مبعوث العناية الإلهية لرفع الروح المعنوية) فهذا الرجل قصير القامة عملاق القيمة مارس العمل الفدائى ضد الإنجليز ثم ضد اليهود وقد أصبح (الوقود المعنوى) ليس لأهل السويس، ولكن للجنود على الجبهة ولكل أهل مصر وذلك من خلال تجربته العظيمة (ولاد الأرض) فقد جمع شباب السويس الوطنى ليغنوا أشعاره الحماسية والمميزة لرفع الروح المعنوية ويكفيه أنه القائل (وعظم أخواتنا ... نلمه نلمه – سنه سنه نعمل منه مدافع ... ونداقع .. ونجيب النصر) وعندما أردت وضع عنوان لكلام الكابتن غزالي لم أجد عنوانا بالفصحى يناسب الكلام والموقف فأخترت له عنوانا بالعامية كسرا للقاعدة

التى نسير عليها، ولكنه عنوان ينطبق تماما على الدور الذى لعبه الكابتن غزالى.

وبعد الكابتن غزالى إلتقيت مع عبد المنعم قناوى وهو رجل اسطورى وبطل درامى خرج علينا الاساطير الإغريقية ليفعل معجزات يعجز عنها البشر فهو المصور البسيط الذى أصبح بطل الاستطلاع الذى يذهب خلف خطوط العدو قبل حرب اكتوبر بأكثر من عشرين يوما ويعيش وحيدا وسط كل قوات العدو وبعد الثغرة يذهب ليعيش على جبل عتاقة ومعه دليل بدوى ليصبح الصقر الذى يرصد كل حركة للعدو الذى حاصر السويس ويظل هكذا مائة يوم كاملة يأكل الفتات، ويشرب الندى ... وبعد كل ذلك يصبح الرجل مجرد سائق سيارة ميكروباص عيش كآحاد الناس..!

ثم إلتقيت بالبطل محمود طه وهو رجل دمث الخلق رقيق كالنسمه إنسان ملىء بالإنسانية وكأنه ملاك وقد لعب دورا عظيما فى كل أحداث السويس، فهو تلميذ مصطفى أبو هاشم ثم اليد اليمنى لمحمود عواد ويعيش الآن فى هدوء غير نادم. على كل ما قدمه بل يؤكد على أنه سيفعل أكثر مما فعل إذا دعاه داعى الوطن، وكان اللقاء مع محمد سرحان الشهير بميمى سرحان ملىء بالمشاعر الجياشة فالرجل يشعر بالظلم وعدم التقدير ولكنه غير نادم ... وفقط يطالب بالتكريم المعنوى له ولزملائه...

أما العملاق عبد المنعم خالد فهو أيضا رجل أسطورى ويكيفيه أنه كان السبب الرئيسى فى إنشاء منظمة سيناء العربية كما أنه صاحب أول عمليات نفذتها المنظمة ثم اشترك فى جميع عمليات المنظمة وكانَ له دور عظيم أثناء فترة الحصار وبعد كل هذا يعمل الرجل كسائق فى شركه وتوضع أمامه كل العقبات وهو فى كل الأحوال راضى وغير نادم.

أما البطل محمود غواد فهو شهيد يسير على قدمين كان ثالث عضو فى منظمة سيناء ثم كان قائدها بعد إستشهاد مصطفى أبو هاشم وقد أصيب يوم ٢٤ اكتوبر ويعيش حالة من الاحباط والألم نتيجة التجاهل وعدم التقرير، ولكنه غير نادم وفقط فإنه يتألم فى صمت وكبرياء.

وفى رأيى فإن مفاجأة هذا الكتاب تكمن فى كلام اللواء حسن أسامة العصرة ذلك الرجل الذى كان شابا صغرا فى السادسة والعشرين من عمره عندما حدثت حرب اكتوبر وكان نقيبا بالشرطة ولكنه قرر أن يمارس العمل الفدائى وكون مجموعة فدائية خاصة به وقام بالعديد من العميات العظيمة، ولكن البعض ساوم الرجل على شرفه الانسانى ليجعلوه ينسب للبعض بطولات لم يفعلوها ورفض الشاب الصغير بكل إباء وشمم رغم الوعود بالمستقبل الباهر وليعيش بعد ذلك يدفع ثمن دفاعه عن شرفه الإنسانى سلسلة من التجاهل لدرجة أنهم رفتوه من عمله بعد مقتل أنور السادات ثم أعادوه مرة أخرى ثم

تجاهلوه تماما عندما قدمت الشرطة أوبريت (يوم من عمر الوطن) عن دور الشرطة يوم ٢٤ اكتوبر ٧٣ فى السويس، رغم أن دور الشرطة ينحصر فى ما فعله حسن أسامة ثم ما فعله ضباط وجنود وحدة الاتصالات اللاسلكية فقط، وأخيرا كان اللقاء مع الشيخ حافظ بسلامة والذى فجرنى كلامه أكثر من قنبلة لعل أقواها ما قاله عن قبول المحافظ وكل قيادات المحافظة التسليم لليهود ورغم الدور الكبير للشيخ حافظ خلال حرب الاستنزاف والحصار إلا أن دوره الأكبر كان يكمن فى حرصه الشديد على أنه يظل نداء الله (الله اكبر الله اكبر) مرتفعا من على مئذنة مسجد الشهداء ثم حرصه على إقامة شعائر الصلاة مما جعل صوت الله يتردد فى جنبات المدينة ليملأ قلوب الناس بالأمن والاطمئنان والسكينة، إن دور الشيخ حافظ لا يمكن إنكاره ولكننا إحتراما لأمانة التاريخ التى وضعناها فى أعناقنا فقد نشرنا بعد كلام الشيخ حافظ سلامة ... كلاما آخر على لسان محافظ السويس محمد بدوى الخولى يؤكد فيه على أنه لم قبل التسليم أبدا.

وبعد هذا التقديم القصير لأبطال السويس نقدم شهاداتهم لتصبح نبراسا ومنارا نسير على هداه كلما ضاقت بنا الأمور .

الكابتن غزالى....
الكلمة رصاصه ... وإيد بتطبطب وتحارب ..!!

اسمى محمد أحمد غزالى من مواليد عام ١٩٢٨ وهو عام معروف فى التاريخ المصرى بأنه من الأعوام النابضة بالحركة الوطنية... وقد ولدت فى حى الأربعين وهو قلب السويس القديمة كما أنه نقطة إلتقاء مع كل ما يمر من السويس متجها إلى القاهرة .. كما كان حى الأربعين مقر الأحزاب الوطنية وقتذاك مثل (الوفد - الإخوان المسلمين - الأحرار الدستوريين - الكتله الوفدية - الحزب الاشتراكى - السعديين) كما أن جذورى ترجع إلى محافظة قنا وبالتحديد قرية أبنود وهؤلاء يمثلون ٦٠٪ من التركيبة الاجتماعية للسويس أى أنهم من قدامى أهل السويس وكان والدى ذا سمعة طيبة وكبير قومه. وموظفا بسيطا مثل كل العامة من المصريين ولذلك فقد تربيت تربية بسيطة ونشأت لأجد الإنجليز يسكنون معنا فى البيوت ويملأون شوارع السويس التى كانت محاطة بالكثير من المعسكرات الإنجليزية. ونشأت لأجد الحس الوطنى مشتعلا والتصادم اليومى مع الإنجليز دائم ومستمر وقد إضطرنى ذلك إلى عدم إتمام تعليمى الرسمى لأن طموحاتنا كجيل كانت متعددة وبعد أن أنهيت المرحلة الابتدائية إتجهت إلى الثقافة

الحرة من خلال القراءة الدائمة فى شتى نواحى المعرفة ولم أكن وحدى فى ذلك لكن الجيل كله كان يعيش فى مناقشة دائمة فى كل شىء حسن ونافع.

سر الكابتن ...!

كانت السويس مليئة بأندية الأجانب وكانت لنا طموحات بأن نقتحم هذه الأندية فإتجهنا إلى الرياضة وتميزنا فيها بل وتفوقنا وأثناء الدراسة الابتدائية كنت أجيد الرسم كما عشقت الجمباز وتفوقت فيه وذلك من خلال القسم المخصوص بالمدرسة الذى كان يتيح لكل التلاميذ ممارسة الرياضات التى يحبونها وقد اشتهرت فى كل المدينة وبين الأجانب وكنت أشارك فى كل المناسبات بتقديم استعراضات الجمباز وأصبحت رئيسا لفرقة القسم المخصوص ومن كل ذلك جاء لقب كابتن الذى طغى حتى على اسمى الحقيقى وأصبح اسما لى حتى الآن. وإلى جانب تفوقنا فى الرياضة لم نترك معرفة إلا تعلمناها وذلك فى محاولة للتفوق على الأجانب وكما أن مجتمع السويس الواسع المتماسك كان يفتح أمامنا كافة وسائل الرزق وأساليب العيش المتعدد فعشنا فى بحبوحة من العيش كما أن موقع السويس كميناء على البحر الأحمر إضافة إلى إكتشاف المناجم والبترول هيأ لها الفرصة لتكون مدينة صناعية كبيرة وقربها ذلك من الفكر المتقدم فى العالم لأن إيقاع الحياة فيها يختلف عن إيقاع

الحياة فى الريف ولأنها كميناءفإن المعلومات بها متوافرة عن طريق المراكب التى تأتى إليها من كل العالم وهذا الوضع جعل أبناء السويس على استعداد للتعامل مع أى ظرف.

بداية العمل الفدائى..

لقد أصبحت مشاركا بصورة فاعلة فى العمل الفدائى منذ عام ٤٦ فقد شاركت فى العديد من الأعمال الفدائية ضد معسكرات الإنجليز وفى عام ٤٨ عند مشاركة الجيش المصرى فى حرب فلسطين كانت السويس من مراكز التدريب الرئيسية التى أنشأتها الأحزاب التى كانت كلها تحارب ضد الاحتلال وقد بدأت هذه المراكز منذ عام ٤٦ واشتركت فيها بحكم أننى منذ هذا التاريخ أصبحت مشاركا فى العمل السياسى . وبعد التدريبات إتجهت مع زملائي إلى فلسطين وذلك فى عام ٤٨ ووصلنا إلى ما بعد غزه ومكثنا حوالى عشرين يوما وعدنا دون أن نشارك بالحرب ولكننا عدنا بخبرات أفادتنا كمدربين فى تلك المراكز. وبعد إلغاء معاهدة ٣٦ فى عام ٥١ شاركت مع زملائي فى أحداث أحمد عبده الشهيرة وفى ذلك الوقت كنت قد تحولت من ممارسة الجمباز إلى المصارعة الحرة والرومانى ولعبت فى البطولات القومية وبعد ذلك أصبحت مدرب عام إقليم شرق الدلتا فى المصارعة كما إحترفت الرسم وتعلمت الخط وأصبح مهنتى كما أن قراءاتى المستمرة قربتنى من الأدباء والسياسين

والمثقفين.

العمل السياسى مع الثورة

عندما قامت ثورة يوليو وجدنا فيها تجسيدا لكل أحلامنا وطموحاتنا بعد أن شاركنا فى العمل الفدائى الذى كان.مقدمة للثورة وكنا فى السويس متلهفين لهذه الثورة وأنخرطت فى العمل السياسى من خلال كل المنظمات السياسية حيث كنت أول أمين شباب بالإتحاد القومى أول تنظيمات الثورة وقد كنت طوال الوقت عازفا عن تولى المواقع القيادية الرسمية وكنت أركز على علاقتى بالناس فى الشوارع وللحق فقد كان عبد الناصر أنضج ما فى حياتنا وعشنا معه منذ ١٩٥٢ وحتى وفاته مؤمنين بفلسفته وسياساته وإنحيازه للوطن وقد جعلنا هذا جزءً من الشعب المصرى الذى دعم الثورة وساندها وقد ظهر هذا فى كتاباتى بعد ذلك وفى عام ١٩٥٦ كانت السويس قريبة من المواقع الساخنة وكنت من القيادات التى قادت حركة المقاومة الشعبية فى السويس ضد المحاولات الإنجليزية والفرنسية كما استمر دورى كمدرب للمصارعة وظهر دورى كشاعر مهموم بالعمل السياسى فى السويس بل وفى مصر كلها وقد تميزت السويس بميزة خاصة جدا حيث أنشىء فيها أول معهد للدراسات الإشتراكية يتم فيه تدريس كل الفكر الإنسانى التقدمى وقد هيأ ذلك للسويس كوادر سياسية كثيرة ساهمت فى

العمل السياسى طوال فترة الستينيات كما أصبحت السويس منذ أوائل الستينيات إحدى أكبر قلاع الإنتاج فى مصر.

لم تكسرنا النكسة..

أتاحت لى مشاركتى فى العمل السياسى أن أستشف بعض أحداث ٦٧ ولكن ليس إلى درجة كارثة... وقد تقبلت ومعى كل أهل السويس قرارات عبد الناصر الساخنة وتحمسنا للحرب على إعتبار أنها فسحة لقواتنا ثم يتحقق النصر. ولكنى لاحظت أن ما يحدث ليس إستعداداً ماديا للحرب فلم يحدث دعوة للشباب للتدريب ولم يتم تجهيز الخنادق والتموينات وفجأة حدثت النكسة وكنا فى السويس أول من علم بالكارثة ولكننا لم ننكسر بل بدأنا على الفور ندافع عن مصر وعن الجيش لأننا وجدنا فى النكسة مجرد هزيمة فى المعركة ولكنها ليست خسارة لكل الحرب وبدأنا نتقدم لمساعدة المنسحبين من الجنود وتقدم الشباب والرجال رافضين للهزيمة وكنت فى قلب القيادة داخل السوس ورفعنا شعار حرب الشعب وابتكرنا العديد من الوسائل الدعائية والإعلامية للتغلغل داخل الناس وإستنفار همتهم وإعادة تجيشهم ليقاوموا الهزيمة وحتى لا يحدث الهلع فحتى ٥ يونيه كنا ننقل معدات الحرب إلى البر الشرقى وفجأة حدثت الهزيمة وقامت مجموعات الاستطلاع من شباب السويس بعبور القناة على المراكب لإحضار المنسحبين وأعدادهم كبيرة ومهولة جداً

وكان منظرهم يدفع الإنسان للإنتحار وليس المقاومة ولكن وعى أهل السويس وخبراتهم كانت من العوامل الهامة للتعامل مع الكارثة. وبدأنا نحرس المدينة ونوزع أنفسنا ونشكل اللجان للمقاومة الشعبية ولأن التنظيم السياسى قد إنهار داخل المدينة فقد تولى الناس عنه هذا الدور الخطير وهو الدفاع والوقوف فى وجه اليهود الذين أصبحوا يوم ٧ يونية على البر الشرقى عند بور توفيق وكان علينا أن نقاوم ونمنعهم من العبور إلى الغرب وقد إستشهد بعض شباب السويس وهم يحضرون الجنود من الضفه الشرقية حيث سقط شهيدان فى اليوم الأول.

وعندما وصلت القوات الاسرائيلية على البر الشرقى للقناة بدأت تستفز الناس بأشكال إستعراضية مثل الإستحمام فى القناة وهم على يقين بأنه لا يوجد من يستطيع (رمى طوبة) وبالفعل كانت الأسلحة قليلة والناس غير مدربين ويحتاج ذلك إلى وقت وتفرغ فقررنا أن يكون هذا مهمة الزملاء الذين أدوا الخدمة العسكرية.. وحاول اليهود رفع علمهم على القناة قبل وقف إطلاق النار ليكون لهم الحق فى نصف القناة فقام الزملاء مصطفى أبوهاشم وغريب محمد غريب ومحمد عبد ربه بأول عملية فدائية لإفشال هذه العملية وقد نجحوا وأسروا بعض جنود العدو. وقد فرض علينا ذلك تنظيم حراسات ليليه وذلك بالخبرات العفوية. وبدأ اليهود ينتشرون على طول القناة ويبنون حطوطاً دفاعية..

ولم يكن الجيش المصرى وقتها فى ظرف يسمح له بالمقاومة وبدأ اليهود فى إزعاج المدينة بالقنابل والمدافع وكنا متوقعين لهذا فنظمنا فرق الإسعاف والتمريض والحراسة ثم محاولة تدبير السلاح وأخذ ذلك حوالى عشرين يوماً وبدأت الحكومة تساعدنا ثم بدأت عمليات التهجير لما يقرب من ثلثمائة ألف مواطن

وكانت عملية قاسية لأن السويس لا تعرف إلا الاستقرار خاصة وإن سكانها من المهاجرين إليها ولذلك يرفضون الهجرة مرة أخرى إلا أن الهجرة كانت ضرورية حيث بدأ العدو يضرب عشوائيا للضغط على القيادة السياسية وقد نجحنا فى تنظيم كتائب من الشباب ترافق المهجرين كحماية ولمعرفة أماكنهم الجديدة وبدأت بعد أن إستعاد الجيش توازنه.

وفى شهر أغسطس بدأ العدو يستقر على الضفة الأخرى ويتحكم فى المدينة ويضرب المنازل والمصانع ومع وجود الجيش للرد على العدو بدأنا نحن العمل الفدائى واستطعنا تنفيذ العديد من العمليات على الضفة الشرقية وفى كل مرة كان رد اليهود قاسيا بدك المدينة بالمدافع وقد تم التنسيق بين الجيش والفدائيين مما أثمر عن إنشاء منظمة سيناء العربية وهذه المنظمة هى فكرة المخابرات المصرية وقد تقدم أكثر من نصف شباب السويس ولكن المواصفات المطلوبة كانت جسمية

وذهنية ويقظة وحسن تصرف فتم إنتقاء أفضل العناصر وإلى جانب ذلك استمرت أعمال الدفاع الشعبى وأصبح للجيش دوره الطبيعى فى التصدى للعدو فتراجع دورنا القتالى وأصبحت مهمتنا الاساسية رفع الروح المعنوية بكل الوسائل والطرق

ولاد الأرض

أصبح شباب السويس مقسما الى عدد من الاقسام قسم مشغول فى الاعمال الفدائية لمنظمة سيناء العربية وقسم مشغول فى الحراسات الليلية حتى يتفرغ الجيش للأعمال المهمة وقد انشغلت فى عمل الندوات لإلقاء قصائدى الشعرية مع زملاء أخرين تلك القصائد التى تشعل الحماس وترفع الروح المعنوية وقد فكرت فى تحويل هذه القصائد إلى أغانى حتى يسهل استيعابها ويزداد تأثيرها على الجنود وعلى الشعب وقد بدأنا بشكل عفوى حيث كنت أثناء حرب الاستنزاف قائد المجموعة السابعة وهى أكبر مناطق التجمع الشعبى وأنشطها بما فيها من أدباء ومثقفين وأثناء حضورنا أحد الاجتماعات العسكرية وكانت معى هذه المجموعة غنينا بعد الاجتماع بعض الأغانى التى كتبتها فحازت إعجاب الجميع وطلب منى قادة الجيش أن نزور كل المواقع العسكرية من الغردقة وحتى بورسعيد أي على طول كل الجبهة وأصبحت هذه الأغانى أحد الأسباب الرئيسية فى رفع المعنويات من خلال لغة الشعب الحرة والمنطلقة فى

التخاطب وقد ساعد ذلك فى تجييش وجدان الناس فى كل مصر وبدأ الشباب فى كل القرى المصرية يحاكى تجربة أولاد الأرض بعمل تشكيلات تغنى ذلك بطريقتهم وقد إلتفت الإعلام إلى تجربة أولاد الأرض وسجلها وقوبل ذلك بالترحاب مما دفعنا إلى التجويد والإستمرار وكان أعضاء جماعة أولاد الأرض من الشباب المتطوع الذى شارك بعضهم فى أعمال منظمة سيناء العربية وشارك بعضهم فى أعمال الحراسات الليلية. وأى متتبع لأغانى أولاد الأرض يجد أنها ترصد يوميات وحركة القرار السياسى وتأثيره على الجبهة كما أننا كنا ننقل ردود فعل الجبهة إلى كل الوطن ولم نترك سلبية فى مصر إلا وندننا بها بشكل شعبى وصادق أثناء زياراتنا المستمرة لكل القرى والمدن المصرية وأصبح لجماعة أولاد الأرض فروع فى كل مكان به مهجرين وقام أبناء الجماعة من الشباب بعمل لجان لتقديم الخدمات للمهجرين وقد نتج عن زياراتنا لكل مصر نوع من التعاطف مع المهجرين مما رفع ذلك عن كاهل الحكومة الكثير وجعلها تتفرغ لمهمتها الرئيسية فى رفع آثار العدوان كما استطعنا نقل أخبار الجبهة إلى الناس مما ساعد على رفع معنوياتهم وعدم إنهيارهم وذلك بعد أن علموا البطولات التى تحدث على الجبهة.

وقد حرصنا بعد موت الزعيم جمال عبد الناصر أن نشارك فى جنازته المهيبة بأغانينا وبشكلنا الذى إشتهرنا به نلبس

(الأفـرولات) ونمـسك الطبـول ونغنى وسط الجنازة (لا وألف لا عبد الناصر مـا متش) وإذا بمـصر كلها تستجيب لهذه الأغنية وتنتشر فى الجامعات وفى كل التجمعات السكنية وقد تحولت جماعة أولاد الأرض إلي فرقة فنون شعبية كانت تقدم الرقصات الحـربيـة المـعبـرة على المـسـرح وتحـولنا أيضـا إلى العـمل المسرحى وقدمنا مسرحية اسمـها (أغنية على خط النار) تقدم الشهداء وكيف ماتوا وقد زرنا بهذه المسرحية مصر كلها وكنا نعود دوما للسويس للقيام بأعمال المقاومة وعقب كل اشتباك مع العدو كنا نقوم بزيارة المستشفيات ورفع معنويات الجنود كما كنا نزور مواقع الاشتباك على الجبهة وكنا نعمل مرشدين لكل من يزور السويس.

تسريح المقاومة الشعبية..

بعد رحيل عبد الناصر جاء أنور السـادات واتبع سـيـاسـة مـختلفة تماما حيث قام بتسريح كل التشكيلات الشـعبية على مستوى مصر كما قام بجمع السلاح أي أنه قام بعمل (تمشيط كامل) لكل التشكيلات الشعبية وتم القبض على الجميع وخاصة أولاد الأرض التى كـانت تـعمل فـى الجـامـعـات من خـلال أبناء السـويس وقـد رفـضت ترك السـلاح فـصـدر قـرار فـى ٧ مـارس ١٩٧٣ بإبـعـادى عن السـويس وتم تحـديد إقـامـتـى فى كـفـر السرايات فى بنها لأقيم مع أولادى الذين هاجروا إلى هناك ومع

ذلك تمسكت بأداء دورى فى عمل الندوات والأمسيات فى القرى والمدن القريبة منى. وقد بدأت حرب أكتوبر وأنا مبعد عن السويس وقد شعرت بالسعادة والفخر مثل كل المصريين بالنصر الذى تحقق ومع ذلك فقد ظهر الأثر السيئ لقرار السادات بتسريح المقاومة الشعبية عند حدوث الثغرة فلو أن فى منطقة الدفرسوار سرية من الفلاحين مع كل منهم بندقية بها خمس طلقات لأصبح إيقاع الثغرة أبطأ مما حدث كثيرا ولسهل ذلك من عملية السيطرة عليها وقد عارضت قرار حل المقاومة الشعبية مما تسبب فى إبعادى عن السويس وقد نجحت الثغرة وتم حصار السويس ومع ذلك فقد كنت على اتصال دائم بالقيادات والناس داخل المدينة وعندى أخبار يومية عما يحدث ولذلك فكتابتى للأغانى لم تتوقف تعليقا على الأحداث وقمت بعمل فرقتين لأولاد الأرض فى بنها وشاركت فى العديد من الندوات الأدبية والسياسية .

ما أحلى الرجوع إليه

عدت إلى السويس فى عام ٧٤ ورشحنى الناس لإنتخابات المجلس المحلى بل ودفعوا لى رسوم الترشيح وحصلت على أعلى الأصوات وبدأنا العمل الشاق حيث أن ٧٠٪ من منشآت المدينة قد دمر وأهل المدينة فى المهجر وظل العمل لمدة ثلاث سنوات متواصلة لبناء المساكن وإستعادة أهل البلد ولكن وجدت

أن إيقاع السياسة قد تغير وأصبحت هناك سياسة جديدة للقيادة السياسية وذلك بعد تمشيط كل الوطن من الفعاليات الوطنية الفاعلة وبدأت الحكومة فى تفصيل تنظيمات سياسية مثل حزب مصر والحزب الوطنى وقد رفضت الانضمام إلى هذه التنظيمات رغم ما عرض على من ترشيحى لمجلس الشعب لأصبح مرشح العمال وكانت هناك وعود بالنجاح الأكيد ولكنى رفضت حتى لا أخون مبادئى الناصرية وقررت أن أعمل وسط الناس فى الشوارع وركزت نشاطى فى عمل الأغانى والمسرحيات ومحاولة خدمة كل أبناء السويس لأنى أؤمن بأن المهم أن يتواءم الإنسان مع ذاته وبأن يشعر الإنسان بأنه نافع ومفيد للناس وبعد ذلك لا تهم كل كنوز العالم والحمد لله لأننى أشعر بالتواءم التام مع ذاتى وأشعر بأننى مفيد لمن حولى وسوف أحرص على الاستمرار فى أداء رسالتى حتى آخر يوم فى الحياة..

عبد المنعم قناوى...
صقر السويس ... غريب فى زمن الغربان..!!

اسمى عبد المنعم قناوى ... مولود فى السويس يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٤٥ وقد جاء والدى إلى السويس فى عام ١٩١٤ نازحا من مسقط رأسه فى مركز قفط محافظة قنا. ثم عمل بعد ذلك بقلم المحضرين فى محكمة السويس وقد درست فى المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية ثم عشقت التجارة فكنت أذهب إلى مدينة غزة بفلسطين لأشترى البضائع. خاصة بعد إنفصال الوحدة بين مصر وسوريا عام ٦١ فأيام الوحدة كان التجار السوريون يأتون إلى السويس بالبضائع وبعد الإنفصال وجدنا بضائع سوريا فى غزة... وفى غزة دفعنى حب الاستطلاع لزيارة خط الحدود عند منطقة (بيت حنون) فوجدت خطا أبيض وكشكا خشبيا والجنود الدوليين ولوحة مكتوب عليها (ممنوع العبور للمدنيين الغير مصرح لهم) وعرفت أن ذلك خاص بالفلسطينين الذين يعملون فى اسرائيل ومن هنا تولد الحس الوطنى لدى فكيف يمنع الفلسطينى من دخول أرضه.

بطل الدراجات والرماية

كنت لسنوات طويلة بطل السويس فى الدراجات والرماية

وخاصة طوال سنوات الدراسة حيث أحببت الدراجات فكنت أسافر إلى الإسماعيلية والقنطرة وبورسعيد على الدراجة فكنت أسافر مع بعض الزملاء من أبناء حى شميس إلى مولد (الشيخ حنيدق) قبل الاسماعيلية بـ ١٢ كيلومتر وكان لى بعض الأقارب فى القنطرة فكنت أذهب إليهم بالدراجة ثم أذهب إلى بورسعيد بالدراجة أيضا ومن هنا أصبحت بطلا فى الدراجات وحصلت على العديد من البطولات.

النكسة جعلتنا فدائيين

عندما حدثت النكسة فى ٥ يونيه ٦٧ كان عمرى ٢٢ سنة وبشكل تلقائى تحول كل أهالى السويس إلى جنود يعملون على رفع آثار العدوان فمنذ يوم ٥ يونيه كنا نستقبل الجنود العائدين من سيناء عند منطقة (الميريكاب) فى لسان بورتوفيق فكنا نعبر باللنشات إلى البر الشرقى للقناة ونأتى بالجنود بل إن البعض منا كان يذهب حتى منطقة عيون موسى على بعد ١٠ كم داخل سيناء لتجميع الجنود المنسحبين ثم نذهب بهم إلى نادى هيئة قناة السويس فى بورتوفيق الذى تحول إلى مستشفى ميدانى أولى للطوارىء يضمد الجراح البسيطة وكان بعض المصابين يحتاج إلى عمليات وخاصة (البواسير من كثرة المشى) فكنا نذهب بهم إلى مدرسة السويس الثانوية بنات والتى تحولت إلى مستشفى ميدانى لإجراء العمليات الجراحية .

العادية أما الحالات الصعبة فكانت تنقل إلى المستشفى العسكرى فى مدخل السويس.

وتحول كل إنسان فى السويس إلى محارب من نوع خاص فكل منا يؤدى عملا أي عمل حتى إن البعض منا كان يكتب التلغرافات والخطابات لطمأنة أسر الجنود . ورغم صدمة النكسة التى كانت كبيرة خاصة عند أهل السويس الذين حيوا جيش مصر قبل أيام وهو يعبر محملا بالورود إلى سيناء وفجأة عاد الجيش منسحبا ووصلت اسرائيل إلى البر الشرقى للقناة. رغم هذه الصدمة القاسية لم ينهار أهل السوس بل على الفور بدأنا التطوع فى المقاومة الشعبية ومع مرور الوقت خرجت من هذه المقاومة الشعبية مجموعة القوات الخاصة وهى مثل الصاعقة والمظلات فى القوات المسلحة وأصبحنا مجموعة صغيرة نذهب إلى منطقة (كورال بيتش) فى طريق السخنة لنتلقى التدريب الراقى على عمليات الضفادع البشرية وقد حدث ذلك فى أواخر يوليو ٦٧ وتكونت أيضا قوات الدفاع المدنى للدفاع عن المراكب الراسية فى الميناء ومع ذلك فقد كان أغلب الشباب يبحث عن دور أكبر. وبعد إنتهاء عملية التدريب الراقى طلبوا منا أن نكون فى خط المواجهة الأول عند منطقة بور توفيق وتم تقسيم المنطقة إلى مناطق منطقة الشهيد سلطان عند عمارة السنوسى بجوار القنصلية السعودية حاليا ومنطقة ٢٣ يوليو عند مساكن الهيئة. ومنطقة الجمرك ومنطقة المطافىء

ويشاء القدر أن يكون المتطوعون فى هذه المناطق هم النواة لمجموعة الفدائيين التى بدأت العمل الفدائي ضد العدو فى أوائل ٦٨. وفى بور توفيق كنا نقوم بعمل دوريات ليلية تتجول داخل خليج السويس مستخدمة لنشات هيئة قناة السويس وذلك لحماية الميناء وما بها من مراكب وكانت الميناء تطفىء الأنوار ليلا خوفا من تسلل جنود العدو لزراعة الألغام. وكنا نقوم بهذه الدوريات طوال الليل ثم نعود مع أول ضوء ويتم ذلك بالتناوب فيما بيننا ورغم هذا الإجهاد فقد كنا نبحث عن دور أكبر. وعندما لم نجد هذا الدور فى السويس فقد ذهبت مع زملاء لى إلى مكتب منظمة فتح الفلسطينية فى شارع عبد الحميد سعيد عند سينما أديون بالقاهرة وطلبنا من المسئولين هناك أن نشارك ضمن المقاومة الفلسطينية ضد اسرائيل فشكرونا وأعطونا الأعلام الفلسطينية وأعتذروا لنا لأننا لا نعرف جغرافية مناطق العمليات مما قد يعوق عمل رجال المقاومة الفلسطينية.

منظمة سيناء العربية..

عندما علم المسؤلون فى مصر بما أقدمنا عليه فكروا فى القيام بنفس العمل فى سيناء وذلك بالتعاون مع الأفراد الذين يعرفون سيناء جيداً... حيث أن سيناء فى ذلك الوقت كانت منطقة مجهولة تماما بالنسبة لنا فلم يكن يذهب إليها إلا العاملون بها وبتصريح خاص من حرس الحدود وقد قام مكتب

مـخـابرات جنوب القناة فى السـويس بإخـتـيـار بعض شـبـاب السويس لتكوين ما أطلق عليه (منظمة سيناء العربية) وقد بدأت المنظمة بالزملاء عبد المنعم خالد – غريب محمد غرب – محمود عواد – الشهيد مصطفى أبو هاشم).

أول أسير اسرائيلى

وقبل أن أنسى أذكر أن الزميل المرحوم غريب محمد غريب كان أول من قام بأسر جندى اسرائلىي فبعد أن وصل العدو إلى لسان بورتوفيق وقبل أن تصل القوات الدولية يوم ١٤ يوليو أراد الأعداء أن يأخذوا نصف القناة على إعتبار أنهم قد إحتلوها بالفعل ولكى يثبتوا ذلك كان لابد لهم من رفع علمهم على نصف القناة وبالفـعل نزل بعض جنود العـدو لرفع علمـهم على (شمندورة) فى القناة فتصدى لهم الزملاء غريب محمد غريب – الشـهـيـد مـصطفى أبو هـاشم – مـحـمـد عـبـد ربه وهو بطل السويس فى التجديف حيث سبحوا وهم عزل من السلاح حتى فاجأوا جنود العدو والمدججين بالسلاح وهم يرفعون علمهم ولأن الاسرائيلى جبان بطبعه فقد إرتبكوا من المفاجأة وأصابهم الهلع رغم أنهم يحملون السـلاح وتم أسـر بعـضـهم وحملهم الزملاء إلى البر الغربى ليكونوا أول أسرى بعد ٥ ونيه ٦٧.

تجنيد الفدائيين

لقد طلبت القيادة من الزملاء الذين إنضموا أولا إلى منظمة

سيناء العربية أن يجندوا بعض أصدقائهم ممن يثقون فيهم وممن يحملون المواصفات الخاصة التى حددتها القيادة وبدأنا ننضم إلى المنظمة محمد سرحان - فتحى عوض الله - سعيد البشتلى - محمود طه - ابراهيم سليمان - فايز حافظ أمين - أشرف عبد الدايم - أحمد العطيفى - عبد المنعم قناوى وهكذا فكل واحد منا كان يضم واحدا آخر يكون مسؤلا عنه ومن هنا تكونت منظمة سيناء العربية وبدأت المخابرات تدريبنا على أحدث أنواع الأسلحة البرية والبحرية والجوية وكيف نميز الأسلحة وكيفية الإستطلاع والتصوير والتعامل مع اللاسلكى وكل فنون القتال المختلفة وبعد أن أنهينا كل هذه التدريبات أصبحنا على أتم استعداد لعبور القناة وتنفيذ العمليات الفدائية ضد قوات العدو داخل سيناء .

دمرنا العدو فى وضح النهار

وبدأت العمليات صغيرة إلى حد ما حيث كنا نعبر القناة ليلاً لنزرع الألغام فى الطرق (المدقات) التى يستخدمها العدو وذلك فى محاولة إزعاج قوات العدو وكانت منطقة عملياتنا تقع جنوب البحيرات وبورتوفيق ثم إمتد العمل جنوبا حتى شرم الشيخ رأس محمد وبدأ العمل يزداد بالهجوم على كمائن العدو ليلا مما جعل قواتنا المسلحة تشعر بالغيرة ولم يكن يقال لهم أنهم فدائيون ولكن قوات خاصة مما كان يلهب حماسهم.

وبعد نجاحنا فى العديد من العمليات طلب منا قائدنا الرائد حسين دراز أن نقوم بعمل جديد يلفت الانظار ويحدث دويا وذلك من خلال مهاجمة دورية للعدو في وضح النهار وحدد لنا منطقة على بعد ٨ كم شمال السويس حيث تمر دورية للعدو فى كل يوم إلى بور توفيق تضم عربيتين نصف جنزير ودبابة لتوزيع جنود الخدمة على شط القناة وقد طلب الرائد حسين دراز من قائد الجيش أن تعاونا المدفعية وتغطينا فى عملية الإنسحاب ولكن تعذر ذلك فبدأنا عملية استطلاع المكان بواقع اثنين منا فى كل ليلة إلى أن جاء الدور على الزميلين الشهيد مصطفى أبو هاشم ومحمود عواد فاستأذنا من قائد السرية التى نراقب من عندها أن يعبرا سرا عوما إلى البر الشرقى وبالفعل عبرا وعاينا المكان على الطبيعة . وقبل التنفيذ بيوم واحد سألنا القائد عن استعدادنا فأخبرناه بكل الاستعداد ثم فوجىء عندما علم أن مصطفى ومحمود قد عبرا بالفعل إلى البر الشرقى، وجاء يوم التنفيذ وهو الأربعاء ٦٩/١١/٥ وهو يوم لا ينسى لأن مانشيتات الجرائد فى اليوم التالى كانت تقول أكبر عملية عبور فى وضح النهار ، القوات الخاصة تعبر القناة فى وضح النهار، وكتبت الجرائد العربية عن أكبر هجوم نهارى للكوماندوز المصريين ولم يشر أحد إلى الفدائيين ونسب العمل للقوات المسلحة وذلك لرفع الروح المعنوية.

وفجأة تغيرت خطة الهجوم..

كانت الخطة تقضى بأن نتوزع إلى كمينين مجموعة إقتحام أولى ومجموعة إقتحام ثانية ومجموعة قطع طريق يمين ومجموعة قطع طريق شمال ومجموعة للمراقبة ومعنا مجموعة المهندسين بعد أن أصبح العدو يستخدم إمكانيات الحرب الالكترونية فقام بتركيب سلك مثل الشعر موصول بلغم اسمه (طوربيد بنجلور) موضوع على قائم خشب وهذا السلك إذا تم لمسه يعطى إشارة فورية لوحدة المراقبة مما يكشف أى عملية إختزاق كما أن هذا اللغم ينفجر على شكل نافورة مما يصيب أكبر قدر من الناس ولذلك فبعد عبورنا قمنا بتأمين اللغم ثم قمنا بقص السلك ويبدو أنه خللاً قد حدث مما جعل الإشارة تصل إلى نقطة العدو ٤٩ على بعد ٢ كم منا وجلسنا ننتظر الدورية فقد عبرنا ليلا والدورية لا تمر إلا فى الصباح وقد تأخرت الدورية عن موعدها المعتاد وكان القائد يراقبنا على البر الغربى فإتصل بنا من خلال الشفرة المتفق عليها وكان المعتاد أن هذه الدورية يصحبها جنديان يجلسان على جانبى السيارة الأمامية يراقبان الطريق ويجسان الأرض بحثا عن الألغام، المهم إتصل بنا القائد قائلا (فى الطريق إلكم جاموستين وجمل أمامهم مصطفى أبو هاشم وسعيد البشتلى) فعرفنا أن سيارتين ودبابة وأمامهما جنديان فى الطريق إلينا. فى هذا اليوم كان الجو باردا جدا وعاصفا،

وعندما عبرنا وضعنا العبوة المتفجرة فى وسط الطريق الذى ستمر عليه الدورية وكان المخطط أن يتم نسف السيارة الأولى لتصطدم بها السيارة الثانية، ولكن نتيجة للإشارة التى وصلت للعدو عند قص السلك فقد بعث العدو بخمسة كلاب كبيرة تشم فى الطريق وتدخلت العناية الإلهية لأن الكلاب إذا شمت الهواء الآتى من غرب القناة محملا برائحة (البنى آدمين) فسوف ننكشف ولكن الرياح توقفت تماما عند مرور الكلاب التى وقفت تشم فوق العبوة نفسها لدرجة أن أحدها قد تبول فوق العبوة ولم يتم إكتشاف المتفجرات. وكانت تعليمات الكابتن مصطفى أبو هاشم قائد العملية بأنه لا إطلاق للنيران إلا إذا بدأ هو بالضرب ... المهم جاءت الدورية يتقدمها ثلاثة من سلاح المهندسين مترجلين على شكل رأس حربة وهذا على غير المعتاد وفجأة إنكفأ الجندى الذى فى المنتصف على العبوة مباشرة يفحصها بالجهاز الذى معه وأصبحنا فى موقف لا نحسد عليه يهددنا بفشل العملية بل ويهدد حياتنا جميعا ولكننا تعلمنا من العمل الفدائي سرعة التصرف فى المواقف الصعبة وفى الموقف الذى كنا فيه لو فجر مصطفى أبو هاشم العبوة لقتل الجنود وتعرضنا نحن لأكبر الأخطار أقلها أننا سنصاب بالصمم من شدة الإنفجار ولكن الشهيد مصطفى أبو هاشم فى أقل من الثانية أطلق النار على هذا الجندى فقتله وبدأنا نحن نتعامل من بقية الدورية بعد أن إختلفت الخطة تماما حيث أصبح

الوضع مجموعة الإقتحام الأولى فى مواجهة جنود المهندسين والمجموعة الثانية فى مواجهة السيارة الأولى وبسرعة إنتقلت المجموعة كلها أمام السيارتين والدبابة وأصبح الإلتحام وجها لوجه وبالبنادق فقط... وتدخلت العناية الإلهية التى كانت ترعانا فى كل خطواتنا لأننا قد بعنا أنفسنا لله ولا نريد جزاء ولا شكورا وبدأنا التعامل مع قوات العدو فدمرناها وقتلنا ثمانية وأسرنا جنديا عملاق الجثة. وكنا قد عبرنا فى زورق مطاطى وكان على البر الغربى مجموعة من زملائنا لحمايتنا عند الإنسحاب وكانت الخطة أن تتم العملية فى عشرة دقائق وبعد العودة هنأنا القائد وأخبرنا أننا وقعنا فى خطأين الأول أننا نفذنا العملية فى تسع دقائق فقط والثانى أننا كنا نقاتل العدو من الوضع واقفا مما يجعلنا هدفا سهلا لأى إنسان يأتى من العمق، المهم أننا بعد العملية تركنا عدة منشورات باللغة العبرية تقول بأن هذا أول عمل وانتظرونا فى عدة أماكن من أرض سيناء ومن طرائف هذه العملية أن جنود العدو قد قفزوا من السيارات المغطاة بالشمع والتى كنا نعتقد أنها فارغة قفزوا إلى داخل حفر برميلية وقد رأى الشهيد سعيد البشتلى وكان معى فى مجموعة الإقتحام الثانية رأى جنديا إسرائيليا قفز إلى إحدى هذه الحفر ورفع مدفعه (الأوزى) فى فزع فقذفه سعيد بقنبلة وكأنه يلعب البلياردو فقتله وكانت هذه العمليةج بداية لتطوير عمليات حرب الاستنزاف.

صواريخ فتح والكاتيوشا

وبدأنا بعد ذلك نتجه فى عملياتنا جنوبا إلى أبو رديس لعمل إغارة على قواعد العدو بالصواريخ وإستخدمنا صواريخ فتح ١، ٢ وصواريخ الكاتيوشا واستمرت عملياتنا الفدائية حتى جاء وقف اطلاق النار بعد مبادرة روجرز وأذكر أننا يوم وقف اطلاق النار نفذنا عملية بالصواريخ فى منطقة أبو الغيط وكنا نقذف الصاروخ ثم نفجر قاعدته كما كنا نترك على الطريق بعد تنفيذ العملية نوعا من الألغام اسمه (أقراص ضباب) وهى صغيرة وإذا مشى عليها انسان تنسف قدمه وعندما نهاجم بالصواريخ وقبل الانسحاب نزرع هذه الأقراص وتأتى قوات العدو مسرعة لإستطلاع الأمر فتزيد هذه الأقراص من خسائرهم . كما أن قوات العدو كانت تطاردنا فى خليج السويس بزوارق حديثة جدا كانوا قد سرقوها من ميناء شارل بول فى فرنسا بينما كنا نستخدم الزورق المطاط وحتى لا تلحق بنا هذه الزوارق السريعة كنا نضع بعض المواد المتفجرة على قطع الأخشاب ونشعل فيها النيران فتحدث العديد من الانفجارات فى كل اتجاه فتتراجع القوات التى تطاردنا ونتمكن من الهرب.

عبرت فى سبتمبر وعبر الجيش فى اكتوبر...

بعد وقف اطلاق النار بدأ الاعداد للحرب الشاملة وإستمر هذا الوضع حتى عام ٧٣ حيث طلبت القيادة من الزميل محمود

عواد الذى تولى قيادة المجموعة بعد استشهاد مصطفى أبو هاشم ترشيح أحد أفراد المجموعة له مواصفات خاصة جدا لإرساله خلف خطوط العدو فرشحنى محمود عواد كأول من يذهب على أن يلينى الشهيد أشرف عبد الدايم وقد كنت معروفا جدا فى المدينة لأننى مصور ولدى استديو تصوير وكنت أصور كل حفلات وندوات فرقة (أولاد الأرض) وأصور الناس فى الشوارع والمقاهى أى أننى معروف للجميع وفى ذلك مشكلة فكيف سنبرر غيابى عن المدينة وتوصلنا إلى إختراع قصة تقول أننى ذهبت إلى ليبيا لشراء بعض الأفلام ومعدات التصوير وبذلك تتجه الأنظار إلى ليبيا وأتجه أنا إلى القاهرة لأتلقى فرقا على أحدث مستوى فى الشفرة وإلتقاط الإشارات واللاسلكى والتعامل مع أسلحة العدو. وأخيرا صدرت لى الأوامر بعبور القناة فى ١٤ سبتمبر ٧٣ أى قبل حرب اكتوبر بأكثر من عشرين يوما وقد طلبت منى القيادة ألا أخبر أى إنسان حرصا على سلامتى ولكنى فكرت فى أننى لو استشهدت فكيف سيعرف أهلى وقررت أن أخبر الشيخ حافظ سلامة وأخبرته فشجعنى وقال توكل على الله ودعا لى بالتوفيق وقد عبرت بقارب من عند فنار (أبو الدرج) جنوب السخنة بحوالى ٢٥ كم وكان فى إنتظارى أحد عرب سيناء الذين يتعاملون مع المخابرات المصرية على شط خليج السويس وكنت أرتدى الزى الأعرابى وأخذنى الرجل إلى منطقة خلف ممرات متلا وكان يمر على كل

بضعة أيام، وكانت التعليمات ألا أسمع إلا إذاعة صوت العرب فقط. وبدأت إرسال الإشارات عما أراه من تحركات لقوات العدو بالجهاز الحساس الذى يرسل على بعد ٥٠٠ كم إلى أن فوجئت يوم ٦ اكتوبر بسماع البيانات العسكرية من الإذاعة والتى تؤكد عبور قواتنا لقناة السويس ولم أصدق إلى أن رأيت الطيران المصرى يمر فوق رأسى ثم بدأ دخان المعركة يقترب منى فى الأيام التالية وأثناء كل ذلك كنت أرسل كل شيء عن تحركات قوات العدو.

عبرت من الثغرة إلى الغرب

بعد أن كنت أرى إنسحاب قوات العدو طوال أيام المعركة لاحظت فى يوم ١٥ اكتوبر أن القوات الاسرائيلية تتحرك بكثافة فى إتجاه القناة وتعجبت لهذا الوضع وتلقيت أمرا بالعودة إلى القاهرة فأخذنى الدليل الذى رافقنى فى رحلة الذهاب ليعيدنى إلى القاهرة وأقترح أن نعود من ناحية الاسماعيلية لأن الطريق أكثر قربا وكنت قد علمت بحدوث الثغرة ووصلنا إلى شط القناة يوم ١٧ اكتوبر ليلا وعبرنا من المعبر الذى أقامه العدو عند الدفرسوار وكان العدو خوفا من هجوم الكوماندوز المصريين ينسحب ليلا من عند المعبر ويعود مع أول ضوء ليحتل الموقع مرة أخرى.

أنت جاسوس أم اسرائيلي..؟

بمجرد أن عبرت الى البر الغربى للقناة ومعى الدليل قبضت علينا القوات المصرية وكانت لحيتى طويلة جدا وشكلى قد تغير كثيرا ودار معنا استجواب طويل على اعتبار أننا اسرائيليان أو على الأقل جاسوسان ومن ضابط إلى آخر حتى وصلت إلى قائد اللواء الذى طلب منى (الكارنيه) فقلت له وهل يحمل العسكريون كارنيهات أثناء الحروب وكنت أحمل شهادة ورقية لكى يسهل التخلص منها وبعد وقت طويل طلبت الاتصال بقيادتى وأجريت الاتصال عن طريق الجهاز وعلى الفور طلبت القيادة من هذا القائد أن يرسلنى فى سيارته الخاصة إلى القاهرة ففوجىء الرجل وسألنى عن رتبتى فقلت له أننى فقط جندى مصرى ولكن الرجل ظن أننى رتبة كبيرة وبالفعل عدت إلى القاهرة فى سيارته وسائقه الخاص. ومكثت فى القاهرة يومين وكانت القوات الاسرائيلية قد نجحت تماما فى الثغرة ولكنها فشلت فى الاختراق من عند أبو عطوة إلى الاسماعيلية وذلك لأن هذه المنطقة صحراء مفتوحة من عند أبو سلطان وحتى العباسة فى الزقازيق والعدو لا يملك الكثافة البشرية لتغطية هذه المساحة وأمام المقاومة الشرسة التي لاقوها من قواتنا قرروا العودة فى إتجاه السويس حيث جبل عتاقة وقناة السويس والخليج أي أن المسألة (ملمومة).

مائة يوم وحدى على جبل عتاقة..!

إقـتـرب الاسـرائيليـون من السـويس وهددوها وهنا طلبت القيادة الحصـول على مـعلومـات من داخل المـدينة فـرشـحنى بعض الضبـاط الذين يعرفـوننى على اعـتبـار أننى من المـدينة وأحب أن أرى أهلى وأصدقائى بعد غيابى عنهم ووافقت القيادة وركبت السيـارة حتى (مـحطة الدفع) عند الكيلو ٦٥ على طريق مصر السويس ثم رافقنى دليل يعرف كل تفاصيل جبل عتاقة واكـتشـفت أن القيـادة لا تعـرف أى شىء عن السـويس فى ذلك الوقت وقد طلبوا منى ألا أسـير على الطريق الأسفلت بل أسـير على جـبل عـتـاقـة حـتى أدخل السـويس وكـان مـعى كـامـيـرات التـصـوير وجهـاز اللاسلكى والشـفرة وبعض الطعام عبـارة عن تعيين قتال مكون من كرتونة بها ١٢ علبة على إعتبار أنها مـهمة سـريعة وقـصـيـرة. وعندمـا وصلت إلى جبل عتـاقـة رأيت نفس مناظر ٥ يونيه ٦٧ سيارات مدمرة وجنود منسحبين ومنهارين وسـألت الجنود عـمـا يحدث فلم أسمع من كل منهم إلا (اليـهود ورانا - اليـهود ورانـا) وفى ذلك الوقت لم يكن لدى أي خبـر عن تقدم اليـهود نحو السويس وقد رأت القيادة ألا تخبرنى خـوفـا من أن أتراجع عن المـهمة. وفوق الجبل وجدت جنودا كثيرين قد مـاتوا من التعب والجهد فكل منهم كان يعتقد أن الجنل أقصـر طريق للهرب والطريق شـاق جدا . وفوق الجبل عرفت كل الحقيقة وكانت مهمتى أن أدخل السـويس لكى أطمئن القيادة فى القاهرة

عن الأحوال داخل المدينة ، وعند استراحة الملك فاروق في مصنع السماد عند بطن الجبل وجدت الطريق مليء بالعربات والمعدات والمدرعات الاسرائيلية وبين كل معدة وأخرى نصف متر فقط فكيف سأعبر إلى السويس ، واتصلت بالقيادة في القاهرة لإخبارهم بالوضع فأمروني أن أبقى في مكاني حتى تأتيني أوامر جديدة وهنا بدأت أصعب وأعظم أيام حياتي .

اسرائيلية تعاكسني والهليكوبتر يبحث عني..

جلست على الجبل أراقب الموقف ورأيت بعض دبابات الغدو تدخل ميناء الأدبية وراحت تتحرك في سرعة كبيرة في إتجاهات مختلفة للتمويه والخداع وعند الكيلو ١٠٩ هناك وصلة من جنيفه على طريق اسماعيلية الصحراوي تدخل على طريق السويس القاهرة وعندها وجدت قول مدرع قادم من الاسماعيلية وعلى الفور أخبرت القيادة بما أرى وأثناء إرسالي لهذه الرسالة في الساعة الثالثة ظهرا دخلت معي على الخط بنت اسرائيليية وراحت تعاكسني وتحاورني وتهددني بلهجة عربية مكسرة وفجأة سمعت صوت طائرة هليكوبتر على الأرض أسفل الجبل وكان معي الدليل الذي يعرف جبل عتاقة كما يعرف كف يده . وقد تعلمت في فرقة اللاسلكي أن الطيران المقاتل من الممكن أن يكشف الشفرة في محيط دائرة ٥ كيلومربع أما الطيران الهليكوبتر فيحدد المكان ويهبط عليه مباشرة بمجرد أن يلتقط

الإشـارة المـهم عندمـا سـمـعت صـوت الطائرة أغلقت جـهـاز اللاسلكى وكنت قد وجدت على الجبل (ضلع هايك) وهو ضلع من أربعة لخيام صغيرة لرجال الصاعقة وقد نفعنى هذا الضلع حيث غطيت به جهاز اللاسلكى ثم دخلت ومعى الدليل إلى جحر ضيق جدا لو حصلت الآن على الملايين لما دخلته أبدا ولكننا دخلنا مثل (العَرِس) وإنكمشنا خلف الصخرة نراقب ما يحدث وبعد دقائق أصبحت الطائرة خمسة هليكوبتر من طراز (بل ٢٠٥) تبحث في كل المنطقة وعند باب كل طائرة رشاش نصف بوصـة لضـرب جنود المـشـاة في المـعـارك وقـد فـتـحت هذه الطائرات النيران على الجبل لدرجة أن بعض الطلقات اصطدمت بالصـخرة التى نختبىء خلفها مما جعل الدليل البدوى الذى يرافقنى يطلب منى أن نسلم أنفسنا لأنهم قد كشفونا فقلت له لو كشفونا لنزلوا وقبضوا علينا ولكنهم يضربون عشوائيا. ولم أفعل أى شىء إلا قراءة كل ما أحفظه من آيات قرآنية وعندما حل الظلام نزلت هذه الطائرات وطلبت من رفيقى الإنسـحـاب من هذا المكان خـوفـا لأنهم فى الصـبـاح سـيـفـتـشـون المكان وانسحبنا فى إتجاه ميناء الأدبية عند وادى الناقة وسرنا طوال الليل ولأن الدليل يعرف كل شبر فى الجبل فهو يسير بسرعة شديدة وأنا ألهث خلفه وفى الصباح راقبنا المكان الذى كنا فيه فـوجـدنا الطائرات قد صعدت مرة أخرى على هيئة تشكيل مروحى ونزل منها الجنود وهم يحاولون إقتفاء الأثر ولكننا كنا

على وعي بذلك فعند انسحابنا كنا نسير على الرمل ثم الزلط والحجارة حتى تضيع آثار أقدامنا.

العدو معنا فوق الجبل..

بعد أن فشلت طائرات العدو في الحصول علينا بدأوا فى وضع معدات فوق الجبل وبمرور الوقت فى منتصف نوفمبر قاموا بمد طريق من أعلى الجبل إلى أسفل وهذا الطريق مازال موجودا عند الكيلو ١٤ شمال السويس وقد أقاموا هذا الطريق ليسهل عليهم إمداد القوات فوق الجبل بالمؤن والذخائر عن طريق السيارات. وكنت أراقب كل تحركات العدو فوق الجبل وأبعث بها إلى القيادة أولا بأول.

أكلنا بقايا الخبز وشربنا الندى..

ذكرت أن كمية الطعام التى كانت لدينا كانت صغيرة على إعتبار أننا فى مهمة صغيرة وهى عبارة عن ١٢ علبة كل علبة ٢٠سم × ٢٠ سم وبها علبة بولبيف وعلبة شوربة عدس وعلبة مربى و٢ باكو شاى وسكر وباكو لبن بودرة ومشط كبريت وقرصين ملح وفتاحة و٣ قرص سبرتو و٣ باكو بسكويت بالكمون وهذه العلبة هى تموين الفرد فى اليوم ولكن عندما تغيرت الظروف بدأت أقتصد لتصبح العلبة تموين ثلاثة أيام ومع ذلك فقد إنتهت هذه العلب وبدأنا نبحث فى الجبل فوجدنا مخزن لكتيبة رادار كانت على الجبل وبه كمية من الأطعمة

الجافة فقررنا توزيع هذا الطعام على أماكن مختلفة فى الجبل بين كل مكان وآخر ساعتان من السير فوق الجبل ونضع علامة فوق كل مكان وقد أفادنا ذلك كثيرا لأن القوات الاسرائيلية قد استولت على المخزن الرئيسى عند إقامة نقط حراستها على الجبل وبدأنا نعتمد على (كمائن الطعام) التى أعددناها ثم نفذ هذا الطعام أيضا فرحنا نبحث فى الجبل وكانت هناك دوريات سير من الصاعقة بعد ٦٧ تبدأ من إنشاص وحتى عتاقة فكنا نبحث عن بقايا الخبز والبسكويت المتخلف عن هذه الدوريات أما الماء فكنا نعتمد على الندى الذى كان ينزل فى الصباح وذات يوم وجدت جنودا خلف الجبل وخشيت أن تكون قوات اسرائيلية فذهبت لاستطلع الأمر فدخلت فى كمين على طريق وادى حجون وامسكنى الجنود وإكتشفت إنهم من المغرب الشقيق وشكوا فى أمرى لأنى مطلق اللحية وكل الجنود المصريين يحلقون اللحية فأطلعتهم على الشهادة التى معى فاطمأنوا وأخذت منهم بعض الطعام والماء وبعد أيام من حدوث الثغرة تم تكوين لواء من قوات المظلات التى انسحبت بعد الثغرة وجاء هذا اللواء ليحمى المنطقة خلف جبل عتاقة. فذهبت لاستطلع الأمر فوجدت باللواء بعض الضباط الذين كنا نعرفهم منذ حرب الاستنزاف مما رفع معنوياتى ومعنوياتهم ثم جاءت دبابات الحرس الجمهورى خلف جبل عتاقة وميناء الأدبية.

أنقذت قيادة الجيش الثالث

أعتقد أننى لكى أحكى تفاصيل المائة يوم فإننى أحتاج إلى كتب كثيرة ولكن المهم أن معلوماتى قد تم الإستفادة بها تماما فى القيادة بل إنى قد تسببت بفضل الله فى إنقاذ مئات الجنود والمعدات المصرية من الدمار فقد حدث عندما كنت أقوم بإحدى دوريات الاستطلاع على الجبل ان وجدت خمسة جنود مصريين يختفون بين صخور الجبل وقد فاجأتهم أنا ورفيقى ووجدنا أن كلا منهم من كتيبة مختلفة وجمع بينهم الإنسحاب والهرج الذى حدث بعد الثغرة وكانوا مقدم وملازم أول وثلاثة جنود يعانون من العطش الشديد فأخذتهم وسرت بهم إلى القوات المصرية عند الكيلو ١٠١ وعندما وصلنا إلى أول قواتنا قابلنا ضابط برتبة نقيب فقام المقدم بتعليق رتبته على كتفيه بعد أن كان يخفيها والغريب أن هذا المقدم طلب من النقيب أن يقبض علينا أنا ورفيقى لأننا اسرائليون فتعجبت وقلت له لو أننا اسرائيليون لقتلناكم أو أسرناكم أما أن أذهب بكم إلى القوات المصرية فهذه بجاحة. المهم قبضوا علينا وكل ضابط يأخذنا إلى الضابط الأعلى حتى وصلنا إلى قائد الجيش الثالث شخصيا اللواء عبد المنعم واصل الذى إرتاب هو الآخر فى الأمر وقد حدث فى قيادة الجيش أحد أبناء السويس واسمه محمد نبرى الذى عرفنى ومع ذلك فقد ذكرت للواء عبد المنعم واصل حادثة تزيده اطمئنانا حيث كان يوم ٢٢ مارس ٧٣ فى

السويس يحتفل مع المدينة بالعيد القومي وكان هذا اليوم هو العيد القومي لأن الزعيم جمال عبد الناصر قد رفع فيه العلم المصرى على الشلوفه عام ٥٣ المهم أننى قمت بتصوير الحفل الذى حضره اللواء واصل وكنت أضع اسمى على ظهر كل صورة وقد أهديته مجموعة من هذه الصور فتذكر الرجل وأطمأن وقلت للواء واصل أننى سأقول لك سرا من المفروض أن أبلغه أولا للقيادة ففى طريقى إلى هنا إكتشفت نقطة استطلاع متقدمة للأعداء فوق مركز قيادة الجيش الذى نقف فيه الآن مباشرة وطلبت منه أن ينظر من نظارة الميدان وعلى الفور طلب اللواء عبد المنعم واصل العقيد المسؤل عن الاستطلاع بالجيش وراح يؤنبه بعد أن شاهد بعينه خمسة جنود للأعداء وبجوارهم طائرة هليكوبتر صعدت إلى الجو أثناء حوارنا فشكرنى قائد الجيش وأمر أحدى السيارات أن تعيدنى إل موقعى وأعطانى كرتونتين سجائر بلمونت وبعض الطعام المهم أن الطائرات الاسرائيلية فى اليوم التالى دكت موقع قيادة الجيش فحزنت كثيرا متصورا أن كل من كان فى الموقع قد قتل ولكن بعد انتهاء حصار السويس قابلت الأخ محمد العنبرى الذى أخبرنى بأن اللواء واصل قد أمر على الفور بنقل القيادة إلى موقع تبادلى فى منطقة الربيكى عند الكيلو ٥١ وأن عملية النقل استمرت من المغرب وحتى الفجر وبذلك تم إنقاذ قيادة الجيش الثالث من الدمار الكامل .

أصدقائى لم يعرفونى

وقد ظللت أؤدى مهمتى على خير وجه طوال فترة حصار السويس والتى إستمرت مائة يوم كاملة حتى كان يوم ٢٩ يناير يوم فك الحصار فنزلت إلى السويس وذهبت مباشرة إلى مكتب المخابرات وطلبت أن أرى أسرتى فأخبرنى القائد بأن زملائى قد فعلوا الكثير يوم ٢٤ اكتوبر وأنهم يقيمون الآن معرضا للغنايم عند قصر الثقافة واصطحبنى إلى هناك ولم يخبرنى بأمر الشهداء حتى لا يصدمنى فقابلت أولا الأخ أحمد العطيفى بالاحضان والبكاء والدموع ثم سمعت الأخ محمود طه يسأل الأخ ميمى سرحان (مين اللى بيخص عطيفى ده وبيعيطوا فازددت فى البكاء لأن أصدقائى لم يعرفونى والحق فقد كان شكلى غريبا لحيتى طويلة وشعرى طويل وملابسى رثه وفى هذا اليوم كان موجودا ممدوح سالم وبعض الوزراء وفجأة صرخ الزميل محمود عواد فى الجميع (تعالوا شوفوا الفدائى عبد المنعم قناوى اللى عمل المعجزات) فإنهالت على الناس وكأنهم قد وجدوا (لقية) والصحفيون يصورون وطلب قائد المخابرات من الزملاء أن يكرمونى فأتوا لى (بنصف بطة) وبعد ذلك ذهبت لأرى أمى التى لم تصدق عندما رأتنى وراحت تتحسس كل جزء من جسدى وطلبت منى أن أحلق شعرى ولحيتى وتجمع أهل الحى حولنا والكل فرح بعودتى وكانت المفاجأة أنى وجدت أمى تحتفظ لى بتفاحة وكان المسؤلون قد وزعوا على كل مواطن فى

المدينة تفاحة أثناء فترة الحصار فرفضت أمي أن تأكلها واحتفظت بها لي حتى أعود فما أجمل حنان الأمهات.

أستاذى مختار الفار

هذه الأعمال التى قمت بها أنا وزملائى يعود الفضل فيها إلى الله ثم إلى الضباط الذين قاموا على تدريبنا وأذكر منهم مختار الفار الذى قام بتدريبنا قبل حرب اكتوبر وهو ابن حسين الفار نجم ساعة لقلبك وعمه شريف الفار لاعب نادى الزمالك. ومختار الفار كان ضمن الحرس الشخصى للمشير عبد الحكيم عامر وقد حصل على المركز الثالث على مستوى العالم فى فرقة صاعقة أقيمت فى أمريكا بين ٣٣ دولة من كل دولة ثلاثة أفراد وعندما زرنا بيته وجدنا له صورا مع تماسيح وثعابين شرسة المهم أن هذا الرجل كان يقول لزملائه أننى أتحدى بهذه المجموعة التى معى أي كتيبة صاعقة وقد كانت لنا قاعدة فى منطقة السخنة فكان يقيم معنا فيها ورفض أن يجلس فى المكتب المريح وكان يختم القرآن كل أربعة أيام مرة وكان يؤمنا فى كل الصلوات والفترة الي عشتها فوق جبل عتاقة فإن الفضل يرجع إلى الله ثم إلى مختار الفار الذى كان يأخذنا إلى جبل الجلاله عند الزعفرانه وعند فنار أبو الدرج نتسلق الجبال حتى يصبح السحاب تحت أقدامنا وننزل من فوق الجبل لنمشى فى المياه ونحن نحمل السلاح.

التكريم فقط عند الله...

أنا وزملائى ينطبق علينا قول الله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)... ونحن لا نريد من أحد جزاء ولا شكورا لأننا قدمنا ما قدمناه لله وللوطن أما التكريم الذى حدث لنا فهو شيء هزلى ففى ٢٤ أكتوبر ٧٤ جاءت إلى السويس سيدة مصر الأولى فى ذلك الوقت جيهان السادات وأعطت كل واحد منا شهادة استثمار بعشرة جنيهات ...!! وفى اكتوبر ٨٠ كرمنا المشير أحمد بدوى فى حفل أقيم بنادى ٦ اكتوبر بالقاهرة واعطانا نوط الامتياز من الدرجة الأولى ووسام نجمة سيناء .. وفى نوفمبر ٨٢ كان اللواء بكير محمد بكير محافظا للسويس وكنا نعرفه منذ حرب الاستنزاف حيث كان قائد القطاع الريفى فى السويس المهم أنه كرمنا هو الآخر بأن أعطى لكل منا شهادة استثمار بعشرة جنيهات وفى عام ٩٥ كان اللواء مصطفى صادق محافظا للسويس وللحق فقد كان هذا الرجل يحترمنا كثيرا ووعد بأن يكرمنا فى كل عام المهم أنه كرمنا وأعطى لكل منا شيك بمائة وخمسين جنيها.

البوليس يقبض علينا ... ليكرمنا .....!

أما عن أغرب التكريم فهو ما حدث فى شهر يناير٩٦ حيث فوجئنا كل مجموعة الفدائيين ومعنا الكابتن غزالى بضابط

بوليس ومعه قوة من الجنود يبحث عنا فى كل مكان فى السويس المهم أنه استطاع (القبض على الجميع) ولم يجدنى لأنى أعمل سائق على سيارة ميكروباص وذهب الأخوة إلى مدير الأمن ليكتشفوا أن القبض علينا يهدف تكريمنا فى عيد الشرطة يوم ٢٥ يناير من خلال أوبريت (يوم من عمر الوطن) الذى كتبه عبد الرحمن الأبنودى لإبراز دور الشرطة فى حصار السويس وللحق فإن دور الشرطة ينحصر فيما فعله وقتها النقيب حسن أسامة ذلك الرجل ابن السويس الذى رفض الإستسلام وخلع الرتب أمام مدير الأمن وانضم إلى المقاومة الشعبية للدفاع عن مدينته وأصبح بعد ذلك منبوذا لدرجة أنه عندما أُغتيل السادات رفدوه من الخدمة ثم عاد مرة أخرى إلى الخدمة وخرج إلى المعاش على درجة اللواء ولكنه طوال فترة خدمته لم يتولى أية مناصب قيادية ولم يتم تكريمه فى أوبريت (يوم من عمر الوطن)..!!

حتى الشهداء لم يكرموا ...!!

لا يوجد فى السويس شارع أو ميدان يحمل اسم أي شهيد أو بطل من مجموعة فدائى منظمة سيناء العربية الذين قدموا الكثير ... فالشهيد مصطفى أبو هاشم أول قائد للمنظمة استشهد يوم ٩ فبراير ٧٠ واقترح المجلس المحلى اطلاق اسمه على أحد الشوارع وإختار شارع اسمه البرج ولم يتم شىء

حتى الآن بل إن السويس مليئة بالشوارع التى تحمل أرقاما بلا أسماء ولم يفكر أحد فى إطلاق أسماء الشهداء والأبطال على هذه الشوارع.

وقد طالبنا منذ نهاية الحصار بإقامة متحف قومى للسويس ولم يسمع لنا أحد والغريب أن البعض يستكثر علينا التكريم القليل ففى أول طريق بورتوفيق نافورة تبرع بها رجل مقاول اسمه الحاج يحيى يرحمه الله والنافورة عبارة عن ترس وفوقه الشعله (رمز السويس) ثم وضع لوحة بجوارها مكتوب عليها نافورة الشهيد مصطفى أبو هاشم وبعد ذلك جاءت إحدى شركات التأميم ونزعت اللوحة وغيرت معالم النافورة وكتبت إسمها على لوحة جديدة.

وقد تم توزيع الأراضى الزراعية والشقق على كل من (هب ودب) ولم يأخذ أبطال السوس شيئا حتى الشاطىء لا نجد لنا مكانا فيه رغم أن طوله ١٣٠ كم من السويس وحتى الزعفرانه وللأسف فلو أن أحدنا كان يعمل فى ملهى ليلى أمام دورة مياه لأصبح حاله أفضل منا كثيرا.

بطولاتنا لا تساوى شيئا فى المزاد

عندما قابلنا اللواء بكير محمد بكير عام ٨٢ سألنا عن مشاكلنا كلنا فأخبره الزملاء أننى الوحيد الذى أعمل حرا وليس لى وظيفة وطلبوا منه أن يعطينى أحد المحلات التى تبنيها

المحافظة لأفتحه استوديو تصوير ووافق الرجل ووقع لى على طلب مكتوب بإعفائى من المزاد ولكن تدخل فى الأمر السكرتير العام المساعد للمحافظة واسمه محمد عبد الله ووضع أمامى كل العراقيل وقد تبنى المجلس المحلى مشكلتى وأصدر قرارا بإعفائى من المزاد ولكن الرجل صمم على أن أدخل المزاد وعلى أن أدفع تأمينا أكبر من كل المشاركين ودخل أمامى أحد حيتان الإنفتاح وبدأ صراع غر متكافىء بينى وبين هذا الرجل حتى صرخت من الظلم وبعد تدخل الناس تم إرساء المزاد على ولكن باضعاف ثمن المحل وحتى الآن لم أفتح الاستوديو لأنى مازلت أسدد ديونى التى استدنتها لأسدد ثمن المحل ومازلت أعمل مجرد سائق ميكروباص داخل المدينة لدرجة أن الركاب الذين يركبون معى فوجئوا بأننى عبد المنعم قناوى بطل السويس بعد أن ظهرنا فى التلفزيون عندما عرض أوبريت (يوم من عمر الوطن) ذلك الوطن الذى نفخر بأننا ضحينا من أجله بل ونحن على استعداد لكى نضحى من أجله مرة أخرى بل مرات ومرات .

محمود طه

لن نتسول التكريم ... لكنهم يسرقون تاريخنا..!!

اسمي محمود أحمد طه.. واعتبر أن زواج أبي من أمي أول عمل فدائي في حياتي فقد تزوج أبي قبل والدتي ثلاث مرات ولم ينجب وكان عمه يعمل في مديرية الأوقاف بالسويس وجاء بأبي وعمي ليعملا في المحافظة وتزوج أبي من أمي ووصل عمره إلى ٤٩ سنه ولم ينجب ثم أنجبني عام ١٩٤٧ وكان بيتنا في منطقة (الفرتليشن) بجوار كفر أحمد عبده القديم وهي منطقة وابور المياه وعندما قامت معارك كفر أحمد عبده عام ٥١ قامت الدبابات الانجليزية بهدم البيوت وقد هدمت إحدى الدبابات بيتنا وكنت مع والدي بالبيت لأن والدتي كانت تلد أختي عند جدتي في ذلك الوقت وقد توفي والدي بعد ذلك بأسبوع وبعد ميلاد أختي بثلاثة أيام فقط وتولى تربيتنا عمي وجدي لأمي وقد تعلمت من أسرتي التدين وحب الوطن ولذلك فقد خدمت وطني بقدر المستطاع وكان لي في ذلك الوقت إثنان من أخوالي في الحرس الوطني وقد شاركا في حربي ٥٦ ٦٧ ولأني كنت وحيد العائلة فلم أدخل الجيش وشعرت لذلك بحزن شديد لأني كنت أتمنى أن أدخل الصاعقة وقد حصلت على دبلوم الصنايع وإتجهت إلى الرياضة وخاصة رياضة كمال الأجسام وكنت بطل

السويس ثم بطل مدن القناة فى الناشئين واشتركت فى بطولة الجمهورية وكنت ملازما لشهيد مصطفى أبو هاشم لأنه كان مدربى وقدوتى رياضيا وإنسانيا ونشأت بينى وبينه علاقة أبوه وبنوه وقد علمنى أيضا فنية التدليك للجسم وقبل يونية ٦٧ إلتحقت بالدفاع المدنى

مأساة النكسة تحول بيتى إلى مخزن ذخيرة

عندما وقعت النكسة فى ٥ يونيه ٦٧ تحرك شباب السويس على الفور باللنشات إلى البر ا لشرقى للقناة لتعود بالجرحى والمنسحبين . وقد رأينا المأساة كاملة. وتكونت على الفور المقاومة الشعبية وتحول بيتي إلى مستودع للذخائر فكان لدى ٥٠ صندوق قنابل وأكثر من ١٥٠ زجاجة مولوتوف وذخائر وذلك لأن كفر أحمد عبده كان فى منطقة صحراوية وأكثر أمنا من داخل المدينة. وبدأنا عمل دوريات لحماية المراكب الراسية فى الميناء ليلا، وكنا نستعمل لنشات السواحل وقد إشتبكنا أكثر من مرة مع العدو بالسلاح الخفيف.

القوات الخاصة فى المقاومة الشعبية

قام مكتب المخابرات بتكوين القوات الخاصة داخل المقاومة الشعبية فى إطار منظمة سيناء العربية وقد كنت ضمن المجموعة الرابعة فى المنظمة وكان معى المرحوم حلمى شحاتة والشهيد فايز حافظ أمين وبدأنا نتدرب تدريبات عنيفة وخاصة.

ثم قال لى الشهيد مصطفى أبو هاشم قائد المجموعات بأنه سيضعنى فى مكان سرى وطلب متى ألا أتكلم مع أى إنسان مهما كان قريبا لى وبدأت المشاركة مع زملائى فى العمليات الفدائية وبدأنا بعمليات زرع الألغام على الطرق داخل سيناء وذلك بمعاونة الأخوة من بدو سيناء وكنا نحمل الألغام على أكتافنا لمسافات كبيرة واللغم وزنه ٣٠ كجم وبدأ العدو عمليات التحصين على ضفة القناة بعد الخسائر التى أحدثتها الألغام وبدأ سلاح المهندسين للعدو يفحص الطرق ويستطلع قبل السير على أى طريق وإشتعلت حرب المخابرات بيننا وبينهم إلى أن جاءت عمية (وضح النهار) وكانت هذه العملية تحظى بإهتمام الرئيس عبد الناصر شخصيا الذى كان فى غرفة العمليات يتابع الموقف بنفسه ونجحنا نجاحا باهرا فقتلنا ١٢ اسرائيليا وأسرنا آخر ودمرنا سيارتين نصف جنزير ودبابة وكان لهذه العملية صدى كبير لأن التعليمات كانت ضرورة الحصول على أسير وأثناء العملية كنت فى أول ضلع مع المرحوم حلمى الذى كان يضرب (الأربيجيه) فتعامل حلمى مع الدبابة ووجدت مشمع السيارة يتحرك فتأكدت من وجود جنود فتصرفت بسرعة حيث ألقيت عليهم (علبة عصير فارغة) ظنوها قنبلة فقفزوا مذعورين وعلى الفور تعاملت معهم بالرشاش فقتلت الكثير منهم وبعد إنتهاء العملية أعطانى محمود عواد الأسير وكان عملاق الجسد فوضعت يدى على رقبته وبندقيتى على كتفه وأثناء العودة

إنشغل كل منا فى شيء لتأمين الإنسحاب خوفا من أن يهاجمنا العدو فاستغل الأسير ذلك وأخرج خنجره وضربنى فى يدى فلم أتحرك أو أتألم ولم أكن لأتحرك حتى لو أخرج أمعائى ولكن تنبه الشهيد مصطفى أبو هاشم فعاجل الأسير بضربة على رأسه بكعب البندقية فأفقده الوعى وقد أذاع الاسرائيليون بيانا عسكريا إعترفوا فيه بالعملية وأذعنا نحن بيانا تفصيلا عن العملية والطريف أن كل الزملاء الذين نفذوا هذه العملية محكوم عليهم بالإعدام فى اسرائيل .

وإرتفعت معنويات الشعب والجيش

عندما نجحت هذه العملية رفعت معنويات الشعب والجيش فهناك فرق كبير بين النصر والهزيمة وتوالت العمليات الكبيرة للقوات المسلحة ضد العدو وطلبت منا القيادة تنفيذ عمليات فى خليج السويس ومنها عملية كبيرة جدا وبعد أن عبرنا لم يأت الهدف وتعطل اللنش الذى كنا فيه وبعد اتصالات كبيرة صدرت الأوامر بإنقاذنا بأى شكل وتحرك ٢ من زوارق الطوربيد لإنقاذنا واكتشف العدو وجودنا وتحرك الطيران الاسرائيلى ليضرب الزورقين اللذين كانا مرصودين ومقرر ضربهما فى نفس اليوم مصادفة وعندما لم يجدهما الطيران الاسرائيلى فى مكانهما المعتاد بدأ البحث عنهما فى مياه الخليج فوقع الطيران الاسرائيلى فى كمين للصواريخ المصرية المضادة للطائرات

والتى أسقطت طائرتين واحدة فى غرب القناة وكان الطيار اسمه (نسيم هارون) وتم أسره والطائرة الأخرى سقطت عند خطوط العدو وعندما تم أسر نسيم هارون وجدت معه مخابرات الحدود خرائط تفصيلية عن مهمته، وبذلك فإن الله أراد أن يتم إنقاذنا وإنقاذ الزورقين أيضا وإسقاط طائرتين للعدو.

وظلت العمليات الفدائية مستمرة حتى بعد وقف إطلاق النار وقبل حرب اكتوبر كنا نعد لعملية كبيرة ستضرب فيها مطارات اسرائيل فى سيناء بالصواريخ وخاصة مطار (المليز) ولكن العملية لم تتم لظروف خاصة.

وكسرت السويس أنف اسرائيل

عندما بدأت حرب اكتوبر تم استدعاؤنا وحملنا السلاح وحتى يوم ١٦ اكتوبر لم يكن لنا أى دور وكانت سعادتنا كبيرة بأخبار الانتصارات التى يحققها جيشنا وكنا نتواجد فى المستشفى مساعدة الجرحى وفجأة وجدنا سكان منطقة الجناين والمزارعين وأعداد كبيرة من الجنود المصريين ينهالون على السويس وإختلفت الصورة، وإتصلنا بزملائنا فى مكتب مخابرات جنيفة وعرفنا أخبار الثغرة كما أن الجنود المنسحبين أخبرونا بكل التفاصيل ومع ذلك فقد قمنا بتوزيع هؤلاء الجنود داخل البلد واستمر ذلك من يوم ١٧ وحتى يوم ٢٣ اكتوبر وكان معى الشهيد ابراهيم سليمان ومحمد بهنسى والجندى محمد

طمش وقابلنا الملازم شرطة عبد الرحمن غنيمة وسألنا عن الأخبار فقلنا إن العدو يتقدم نحو السويس وعند الفجر ذهب الشهيد ابراهيم سليمان ليصلى الفجر فى مسجد الشهداء ومع أول ضوء بدأ الطيران الاسرائيلى فى دك المدينة وكنت فى ذلك الوقت مع الشهيد أحمد أبو هاشم الذى إتجه إلى كمينه عند البراجيل ثم قابلنا المحافظ محمد بدوى الخولي ومعه مدير الأمن محمد خفاجه فى طريقهما إلى حى الأربعين فطلبنا منهما السلاح فطلب المحافظ أن نذهب إلى المستشفى حيث توجد حجرة بها أسلحة لنأتى بها وبالفعل ذهب الشهيدان أحمد أبو هاشم وأبراهيم سليمان وجاءا بالسلاح وكان معنا أيضا بعض القنابل التى كنا نستخدمها فى العمليات الفدائية وبإختصار فقد كان معنا (سلاح شخصى) وليس (سلاح) يقاوم دبابات ونحن لا نقول إن رجال منظمة سيناء هم الذين فعلوا كل شيء ولكن نحن فقط الذين بدأنا فقد كنا مدربيْن وكانت لنا تجارب ف حرب الاستنزاف وفى العاشرة صباحا دخل اليهود إلى السويس وقد خرجت الشرارة الأولى على يد الزميلين الشهيد ابراهيم سليمان ومحمود عواد اللذين كانا يضربان بالأربجييه ومن المعروف أن الضارب على هذا المدفع يعتبر هدفا ثابتا وسهلا فكان لابد لنا أن نحميه وأن يكون لكل واحد منهما (معمر) للطلقات وكنت (المعمر) لمحمود عواد فى كمين وفى الكمين الآخر أحمد عطيفى وميمى سرحان. وفى كل خطوة كان

الله معنا فإلى الآن لا أصدق كيف ارتفعت فى الهواء ثلاثة أمتار ثم نزلت على الأرض دون أن أصـــاب ثم بدأت أزحف لأنى فوجئت بأننى بين كمينين اسرائيلين فإرتفعت لا أدرى كيف ونزلت لا أدرى كيف وزحفت من قسم الأربعين إلى مفارق نادى شل أى مسافة كبيرة حتى تسلخ جلد الذراعين والركبتين كما أصيب الزميل محمود عواد فى ذراعه المهم أننا كنا أمام قسم الأربعين فى إتجاه حى البديوى وعندما تقدم الفوج الأول لمدرعات العدو ضرب محمود عواد الدبابة الأولى فى جنزيرها ثم ضرب الدبابة الثانية فى برجها ولكن الإصابات لم تكن كبيرة وأمام هجوم العدو لم نلتزم بالكمائن الثابتة بل كنا نتحرك فى كل مكان ومعظم المعركة كانت عند قسم الأربعين وكان معى محمود ابن خالتى وأحمد شقيق زوجتى وجاءت التعليمات بأن مجموعة من الفلسطينيين سيدخلون المدينة وعلينا حمايتهم. وبالفعل أخذتهم إلى المستشفى وعدت إلى شارع الجيش ورأيت أحمد عطيفى وهو يشتبك مع جندى يهودى وجها لوجه ولكن إرادة الله جعلت رصاصة أحمد تخرج أولا فمات الاسرائيلى على الفور وكنت أعانى من التسلخات نتيجة الزحف على الأرض.

وتحول ليل السويس إلى نهار جميل

استمرت الاشتباكات العنيفة مع العدو طوال النهار وعند

المساء هدأت المعركة بعد أن إختبأ بعض الاسرائيلين فى حى الأربعين وبعد أن قتلنا أغلبهم وهرب الباقون وفى المساء جاءت التعليمات بضرورة حرق معدات العدو التى تركها فى الشوارع قبل هروبه أو قتله. وكنا نخفى سيارة تنك بنزين كبيرة فى إحدى الحارات فملأنا منها (الجرادل) أنا ومحمود عواد وكانت الساعة التاسعة مساء والجو شديد البرودة والسويس فى ظلام دامس وسرنا ومعنا القنابل الحارقة والرشاشات وكان معنا فى نفس البيت أكثر من ٥٠٠ ضابط وجندى عرضوا مساعدتنا فطلبنا منهم أن يأمنوا لنا طريق الذهاب والعودة وكانت المدينة مليئة بمخابىء البراميل وعند كل مخبأ كنا نقول طه ومحمود فيعرفوننا والحق أننا كنا نسير بمدد من الله وإتجهنا أولا إلى سينما رويال لنحرق المعدات التى وقفت أمامها وعندما دخلنا صالة السينما اصطدمت بجثة جندى اسرائيلى وأردت التأكد من أنه ميت فضربت يدى تحته فوجدت بركة من الدماء وتأكدت من أنه ميت وفجأة سمعنا جندى مصرى يغنى أغنية أم كلثوم إنت عمرى فخفنا عليه وقررنا ألا نشعل النار إلا بعد أن يمر وفجأة سمعناه يقول (آى) ويسقط على الأرض فاكتشفنا وجود عدد من الجنود الاسرائيلين فى كبينه السينما واطلق أحدهم الرصاص على صوت الجندى فكتمنا أنفاسنا أنا ومحمود الذى أشار لى (هاته) فوضعت يدى على فم الجندى وحملته إلى خارج السينما وطلب منى محمود أن أحمله إلى

المستشفى لأرى نوع الرصاصة وحملته على كتفى إلى لمستشفى ووجدت الصول سيف الذى أخبر الدكتور أيوب مدير المستشفى وكان موجود أيضا العقيد فتحي عباس وبعد عملية سريعة تم إخراج الرصاصة وتبين أنها من رشاش (عوزى) اسرائيل فعدت مسرعا إلى محمود عواد ودخلنا السينما وقذف محمود قنبلة فى إتجاه الاسرائيلين فقتلتهم جميعا وبدأنا نمر على كل المعدات الاسرائيلية فى الشوارع نسكب عليها البنزين ونحرقها حتى أصبح ليل السويس المظلم مثل (الظهر) تحت ضوء النيران وعند أول ضوء بعد الفجر عدت مرة أخرى إلى السينما ومعى ابن خالتى فوجدت أحد الاسرائيليين مقتولا على السلم وقد احترق نصفه الأسفل ثم وجدت ثلاثة آخرين وقد قتلوا فى الكابينه وكان معهم ثياب ملكية وزجاجات جلوكوز وعدت إلى قسم الأربعين فوجدت الشهيد ابراهيم سليمان الذى استشهد على سور القسم وهو يحاول اقتحامه فحملته بمساعدة بعض الجنود.

حاصروا السويس فحاصرناهم بالرعب

أجبرنا قوات العدو على ترك السويس بعد أن هزمناهم يوم ٢٤ اكتوبر واستطعنا الاستيلاء على بعض أسلحته وأهمها مدفع اسمه (لوز) وهو مدفع حديث جدا لم يصل إلى اسرائيل من أمريكا إلا يوم ١٠ اكتوبر وهو مدفع طلقة واحدة وكانت

طريقة التشغيل مكتوبة بالإنجليزية على المدفع فأستطعنا إستخدامه وقد حاول العدو معاودة الهجوم على السويس أكثر من مرة وكنا نتصدى له فى كل مرة إلى أن استقرت الأوضاع بعد وجود قوات الطوارىء الدولية ولكننا بدأنا عمليات إزعاج كبيرة كل لقوات العدو التى أصبحت تحاصر السوييس وجعلنا من إقامتهم حول السويس نوعا من العذاب والرعب وكان لنا أفراد استطلاع أخبرونا أن اليهود فى كل يوم جمعة تأتى لهم سيارات الترفيه محملة بالبريد والنساء وقد تحايلنا على الأشياء وابتكرنا الكثير من الوسائل لمهاجمة العدو وعلى سبيل المثال فقد كانت هناك سيارة يد لنقل صناديق المياه الغازية فجئنا بأربع عجلات لطائرة سكا يهوك اسرائيلية أسقطتها الصواريخ المصرية ووضعناها لهذه السيارة ثم خطفنا من العدو مدفع نصف بوصة وضعنا له قاعدة فى قلب هذه السيارة وركبناه عليها وكنت أدفع هذه السيارة بسهولة شديدة رغم أنها ثقيلة جدا والآن لا أتخيل مجرد أن أحركها مليمتر واحد وكنا نحمل على هذه السيارة ٢٠ صندوق ذخيرة وثلاث رشاشات نصف بوصة وعدد من البنادق الآلية وبراميل فارغة للتمويه وكنت أدفع كل هذا بكل الحذر حتى لا يكشفنا اليهود وأذكر أننى أثناء مرورى أمام مزلقان الشهداء حيث توجد عمارات المدفعية التى استولى عليها اليهود وكانوا يضربون النار على أى إنسان يمر من أمامهم فكان على أن أجرى بسرعة شديدة إلى منطقة كفر

كامل وكنت أثناء الجرى لا أشعر بأنى أدفع أى شيء بل كنت أجرى أسرع من الطلقات التى تضرب على. وكما نعد كمين الضرب قبل العملية بعدة أيام وكنا نتعمد أن نجعل يوم الترفيه عندهم يوما أسود على رؤوسهم فحولنا إقامتهم إلى عذاب دائم وكبدناهم خسائر كبيرة فى الأرواح والمعدات . وأذكر أنهم بعد إحدى عملياتنا الكبيرة فى منطقة (الزرايب) لم يجدوا وسيلة للإنتقام إلا قتل (١٢ جاموسة) ومرة أخرى حاولوا إحتلال منطقة بين كفر أحمد عبده وكفر جودة وكان ذلك يتم بأن يذهب إثنان منهم إلى أى منطقة خالية كأنهم فى نزهة ثم فى اليوم التالى تأتى إليهما سيارة وخيمة وإكتشفنا ذلك سريعا فقتلنا الإثنان الاستطلاع وكان العميد يوسف عفيفى قد أرسل لنا بعض الإمداد من الجنود والضباط وتعاونا معا. وبإختصار فإن الشرارة الأولى لمعركة السويس كانت للفدائيين ولكن الكل بعد ذلك شارك فى المعركة وقد استشهد يوم ٢٤ الزملاء ابراهيم سلمان - أحمد أبو هاشم - أشرف عبد الدايم فايز حافظ أمين وهناك شهيد لم يكن من المنظمة أعطيناه بندقية فى التاسعة صباحا واستشهد الساعة ٢ ظهرا واسمه ابراهيم محمد محمد يوسف واستشهد أيضا المهندس الزراعى محمد البهنسى وعلى سباق سائق لنش وعبد الله وكان لحاما. ويجب أن نشيد أيضا بمدير مكتب المخابرات الذى كان مسؤلا عنا وهو العقيد فتحى محمد عباس فقد كان معنا فى الحصار.

وساعدنا كثيرا بالتوجيهات والخطط. ومع ذلك فإن ساعة الصفر يوم ٢٤ اكتوبر قد تمت بتلقائية ودون أية أوامر أو تخطيط وأحب أن أشير هنا إلى نقطة مهمة تتعلق بمنظمة سيناء العربية حيث تقدم لها الكثير من شباب السويس ولم يستمر إلا ١٦ فقط ولظروف شخصية لم يحضر معنا الحصار الزميلان محمد السيد أبو الرجال وحلمى حنفى شحاته اللذين كانا فى القاهرة قبل الحصار وبعد الحصار لم يستطيعا دخول السويس ومع ذلك فقد قاما بالاتصال بأسرنا فى المهجر وتوصيل الأموال لهم عن طريق المخابرات وقد كان لمنظمة سيناء أعضاء فى الاسماعيلية وسيناء وبورسعيد وعندما كرمنا أنور السادات كنا ٥٢٤ فدائى بينهم سيدات وبدو.

نحن لا نتسول التكريم..

إننا بكل تأكيد جزء من تاريخ نصر اكتوبر ولم نحاول استغلال ما قدمناه فى أى شىء ويكفى أننا رفضنا أن نكون من أغنى الأغنياء أثناء الحصار وأذكر أننى عندما ذهبت فى صباح ٢٥ اكتوبر إلى سينما رويال لأستطلع ماذا حدث للجنود الاسرائيليين وجدت (جرينديه) مليئة بالسلاسل والدبل الذهبية كان اليهود قد أخذوها من الجنود وقد تركتها فى مكانها وذهبت لأخبر الشيخ حافظ سلامة ومحمود عواد فطلبا أن أعود وأحصل عليها وعندما عدت لم أجدها إننا نتعفف عن

تسـول التكريم وكل مـا نطلبـه هو أن يكون لأولادنا أولوية فى الحصول على فرص العمل. إن أصحاب النفوذ يحصلون على كل شىء ونحن لا نحـصل على أى شىء وأولادنا يسـألوننا (تقولون أنكم فدائيون وأنكم قدمتم الكثير للوطن فماذا أعطتكم الدولة) ولا نستطيع أن نرد على أبنائنا فلم يتذكرنا أحد فى اكتوبر إلا من سنوات قليلة بل إن مدافن الشهداء فى السويس تحولت إلى مكان مشبوه للمدمنين والداعرات. وكنا قد إتفقنا منذ أن بدأنا العمل الفدائى عام ٦٨ أن ندفن جميعا فى مكان واحد وأخترنا المكان ودفنا فيه الشهيدين مصطفى أبو هاشم وسعيد البشتلى ثم دفنا فيه شهداء يوم ٢٤ اكتوبر وفجأة أصبحت هذه المنطقة مكانا للمشبوهين من المدمنين والداعرات فطلبنا نقل رفاة زملائنا إلى منطقة أخرى وقد إستجاب لنا المسؤلون . إننا لا نطلب أى شىء لأننا نحمد الله على الستر ولا نطلب إلا التقدير المعنوى لأن البعض بلا حياء يحاول سرقة بطولات الشهداء والأبطال رغم أننا مازلنا على ظهر الحياة إنهم يسرقون بطولاتنا ونحن لم نحصل على أى شىء... فهل يرضى ذلك الله أو الوطن؟!

محمد سرحان
وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى..

اسمي محمد سرحان عبد العال وشهرتي ميمي سرحان من مواليد عام ١٩٣٨ فى حي زرب بالسويس وتتسم أسرتي بالحس الوطني حيث قام والدي الريس سرحان بنقل الفدائيين من المطرية والمنزلة إلى بورسعيد أثناء حرب ٥٦ وأخي عبد العال سرحان كان ضمن الحرس الوطني عام ٥٦ واستطاع مع زملائه نقل أكثر من ٥٠٠ جندي من قطاع غزة إلى غرب القناة وقد نشأت في هذه الأسرة وحصلت على دبلوم التجارة عام ٥٦ وإتجهت إلى ممارسة الرياضة ومع بداية الستينيات أصبحت ضمن أعضاء الفريق القومي لألعاب القوى في ٤٠٠ متر حواجز، ٤٠٠ متر عدو وحصلت على العديد من البطولات وبدأ وعيي الوطني بتفتح بعد ٥٦ عندما استطاع الزعيم جمال عبد الناصر إسقاط امبراطورتي إنجلترا وفرنسا ومع بداية ٥٨ حاولت امريكا أن تقوم بما أسمته ملأء الفراغ في الشرق الأوسط وتصدى لها عبد الناصر ومع بداية الستينيات أعلن عبد الناصر القوانين الاشتراكية فتأكدت أمريكا أنه لن يكون معها أبدا فبدأت في إعداد (سيناريو اللعبة) مع الصهاينة لضرب عبد الناصر حتى حدثت النكسة المريرة في يونيو ٦٧. وعندما تنحى عبد الناصر يوم ٩ يونيه أدركنا أن الضربة كبيرة جدا

ونحن في السويس نختلف عن أى مدينة أخرى لأننا البوابة الشرقية لمصر التى وقفت فى وجه كل الغزوات كما أن السويس مدينة عريقة وقد إستقبلت الجنود أثناء عبورهم إلى الشرق بفرح وحماس وذلك قبل ٥ يونيه ثم فوجئنا باليهود أمامنا على البر الشرقى للقناة لتبدأ المعاناة الكبيرة وليبدأ الدور الكبير للشباب فى مدينة السويس حيث طلب الحرس الوطنى من كل الشركات أسماء الشباب الذين خدموا القوات المسلحة ثم طلبوا كل الرياضيين الذين خدموا الجيش ليكونوا فى المواجهة مع العدو عند بور توفيق

القيادات الشعبية فى المقدمة

فى ذلك الوقت لم تكن هناك قيادة منظمة داخل السويس فبدأت القيادات الشعبية تأخذ طليعة الموقف وكان عمرى وقتها ٢٩ سنة وتوليت قيادة منطقة الجمرك فى بورتوفيق للمقاومة الشعبية وتتسم السويس بأن العامل يمكنه التحول إلى جندى فى أسرع وقت وعلى الفور بدأنا بعض المناوشات مع الأعداء على الشط الآخر إلى أن تم إعادة تنظيم الجيش وإعداده. وكان معى من حى زرب بعض الأصدقاء ثم تجمعنا مع مجموعات أخرى من مختلف الأحياء مثل عبد المنعم قناوى محمود طه - فتحى عوض الله - أحمد عطيفى - الخ ولأنى من مواليد ١٤ يوليو فقد أتممت فى ١٤ يوليو ٦٧ ، ٢٩ عاما وقد إحتفلنا بعيد

ميلادى على طريقة الفدائيين ففى هذا اليوم كان البوليس الدولى سيأتى لتحديد مواقع كل طرف وحاول اليهود الاستيلاء على نصف القناة برفع علمهم عليها ولكن الزملاء مصطفى أبو هاشم وغريب محمد غريب ومحمد عبد ربه أفشلوا العملية وأسروا اليهود فكان الرد الاسرائيلى عنيفا حيث ضربوا المدينة بالطائرات.

عبد الناصر يدعو لى بالتوفيق

فى نوفمبر ٦٧ كنت ذاهبا من بورتوفيق بالدراجة لأحضر الطعام من السويس قبل المغرب مباشرة فوجدت سيارة سوداء تقف على جانب الطريق وطلب منى سائق السيارة أن أكلم (الريس) فذهبت إلى السيارة التى كانت تقف دون أى حراسة لتكون المفاجأة أن الريس هو جمال عَبد الناصر شخصيا فسلمت عليه وأنا لا أصدق نفسى وسألنى عن عملى فقلت له مقاومة شعبية يا أفندم فشجعنى ببعض الكمات ثم قال (ربنا يوفقكوا) ولن أنسى هذا اللقاء أبدا.

وبعذ ذلك صدر قرار الرئيس عبد الناصر بتكوين المقاومة الشعبية ثم أصدر قراراً آخر بإسناد حماية المنشآت إلي المقاومة ومر عام ٦٧ دون أعمال كبيرة إلا أن روح الإنتقام قد تضخمت بداخلنا.

منظمة سيناء العربية

مع بداية عام ٦٨ لم يصبح للمقاومة الشعبية أى دور إلى أن علمت بأن بعض الزملاء قد ذهبوا إلى مكتب المحابرات وطلبوا العمل معه فى عمليات ضد العدو وذهب أولا عبد المنعم خالد ثم غريب محمد غريب ومحمود عواد ومصطفى أبو هاشم وطلبت منهم القيادة تجنيد زملاء لهم وكانت البداية للعمليات العبور من منطقة كبريت بالقالوكة تجديفا ليعملوا أى شىء حتى يكسروا حاجز الخوف فى النفوس وفى شهر أغسطس ٦٨ كنت سأزوج أختى الوحيدة فى المهجر بالقناطر الخيرية وفوجئت بالشهيد مصطفى سليمان يطلب منى الذهاب لمكتب المخابرات فى مدرسة النصربالسويس وأخبرهم بأنى من طرف مصطفى أبو هاشم وذهبت لألتقى بالقائد فاروق زمزم ولكن لم أقابله إلا بعد ثلاثة أيام حيث اختبروا فيها قدرتى على التحمل وبعد أن استراحوا لقدراتى الجسدية والذهنية أصبحت عضوا فى منظمة سيناء العربية وبدأت التدريب مع زملائى وكنا ١٥ عضوا وتولدت لدى غيرة من زملائى رغبة فى عبور القناة مثلهم وبالفعل عبرت معهم لعمل أشياء بسيطة دون قتال وفى ذلك الوقت علمنا بحرص الرئيس عبد الناصر على أسر أى جندى اسرائيلى وبدأنا نخطط لعملية سنخطف فيها رئيس المخابرات الاسرائيلى عند أبو رديس وذلك فى أغسطس ٦٨ وعبرنا عشرون فردا ولكن الدليل الذى يرافقنا إنحرف عن الطريق داخل

خليج السويس فبدلا من أن نكون على بعد ٣٠ مترا من الهدف وجدنا أنفسنا على بعد ٢ كم فإختلف الأمر وأيضا لم يأت الهدف المطلوب حيث تأجلت الزيارة وقررنا العودة ولكن حدث (خرم) في تنك السولار باللنش فأفرغ ما فيه من وقود داخل مياه الخليج وطلب منا الشهيد مصطفى أبو هاشم قائد المجموعة أن نبعد عن الشاطىء بقدر الإمكان ثم تحدثنا مع قائدنا على البر الغربي وشرحنا له الموقف وبدأت على الفور إتصالات واسعة لإنقاذنا حتى أصدر الرئيس عبد الناصر شخصياً أمرا بضرورة إنقاذنا بأى شكل. وتحرك على الفور قارب طوربيد حربى لإنقاذنا وكانت أول مرة تتحرك فيها هذه الزوارق بعد ٦٧ داخل خليج السويس إلى مسافة ٢٨- ٣٠ كم وأثناء إنقاذنا إكتشف العدو العملية وحدثت معركة بحرية جوية شارك فيها الطيران المصرى وتم إنقاذنا .

وبدأت العمليات الكبيرة

مع بداية عام ٦٩ بدأت العمليات تصبح كبيرة بعد أن بدأت خطط الردع في حرب الاستنزاف بعد نجاح خطط الصمود والتصدى. وفى شهر مارس ٦٩ استشهد الفريق عبد المنعم رياض رئيس الأركان وهو على الجبهة فى الاسماعيلية وفى نوفمبر ٦٩ نفذنا فى منظمة سيناء العربية أول عملية هجوم على قوات العدو فى البر الشرقى فى وضح النهار وكنت ضمن

مجموعة اليمين ومعى مصطفى أبو هاشم - محمود عواد أحمد العطيفى - فايز حافظ أمين وتمت العملية بنجا واستطعنا أسر أحد اليهود ولكن عند عودتنا وفي وسط القن ظهرت دبابة لم تكن فى الحسبان وضربت اللنش المطاط فتمزق ولم يصب منا أحد وعدنا إلى البر الغربى سباحة وتم هذه العملية يوم ٥ نوفمبر ٦٩ وفى نفس الليلة قامت مجموع الشهيد ابراهيم الرفاعى من كوماندوز الجيش بعملية كبير أخرى ضد العدو فى الضفة الشرقية وتوالت العمليات الضخ حيث تم يوم ١٥ نوفمبر تدمير ميناء إيلات وأصبح شهر نوفم شهر الكوارث على اليهود الذين ارتبكوا ويجب أن نشيد بالدو الذى قام به الأخوة من بدو سيناء فقد كانوا يأتون بالأخبار قب وبعد تنفيذ العمليات الفدائية.

وحملنا أمانة الشهداء

مع بداية عام ٧٠ بدأنا نعرف طعم الاستشهاد فى منطق سيناء العربية حيث استشهد الشهيد سعيد البشتلى أثناء إحد عمليات على الضفة الغربية للقناة فى يوم ٢١ مارس ٧٠ وقب فى يوم ٩ فبراير ٧٠ استشهد قائد المجموعة الشهيد مصطف أبو هاشم وقد استشهد فى نادى السويس حيث كان يشرا على تدريبنا يوميا استعداداً للقيام بعملية كبيرة وكنا ننصر من النادى الثانية ظهر كل يوم وفي اليوم الذى استشهد فـ

وكان أخر أيام التدريب حيث طلب منا أن نترك النادى فى الواحدة والنصف ظهراً لنعد طعام الغذاء على أن يقوم هو بجمع أدوات التدريب ثم يلحق بنا وجاء الطيران الإسرائيلي فى الثانية ظهرا موعد إنصرافنا اليومى وضرب النادى بعنف فإستشهد مصطفى أبو هاشم لنفتدى بروحه كل زملائه وقد تأثرنا كثيرا لاستشهاد الزملاء ولكن هدفنا الأكبر هو القضاء على العدو ولذلك بدأت القيادة تطوز من تدريبنا فتدربنا على أحدث الصواريخ وهى الكاتيوشا وفتح وكان معنا الزميلان أشرف عبد الدايم وفايز حافظ أمين يفهمان جيدا فى الكهرباء فتخصصا فى الدوائر الكهربائية وكان معنا بعض الزملاء عمالقة الأجسام مثل عبد المنعم خالد وحلمى حنفى شحاته فكل منهما كان يحمل أربعة ألغام رغم ثقلها الشديد وفى أغسطس ٧٠ خرجنا فى عملية كبيرة لضرب رأس سدر وأبو زنيمة وقد تأجلت هذه العملية أكثر من مرة لأن العدو كان يرصدنا وقد إنقسمت المجموعة إلى جزئين الأول بالصواريخ ويدخل من الزعفرانه على الهدف والثانى وكنت فيه يدخل من ناحية الشيخ السادات واستطاع الزملاء فى الجزء الأول إنهاء العملية بنجاح واستطعنا نحن حمايتهم وعند العودة إنكسر (ضمان اللنش) وأخذ اللنش يتحرك ناحية اليهود وحاولنا بكل الطرق أن ننقذ أنفسنا وإكتشف العدو وجودنا فبدأ يطاردنا باللنشات الحديثة التى سرقوها من فرنسا عام ٦٨ ودخل اللنش الخاص بنا فى

منطقة شعب مرجانية فتعذر على لنشاتهم دخول هذه المنطقة فامتلأت السماء بالطائرات للبحث عنا وصارعنا البحر طوال الليل وعندما كانت إنفجارات العملية تدوى فى الصباح أعلنت وكالات الأنباء عن قبول مصر واسرائيل مبادرة روجرز لوقف اطلاق النار ورغم ذلك لم تتوقف عملياتنا ولكنها تحولت فى أغلبها إلى عمليات إستطلاعية وزرع الألغام .

التتويج فى حرب اكتوبر

واستمر الوضع عل نفس الحال حتى سبتمبر ٧٣ حيث تم استدعاؤنا عن طريق الزميل محمود عواد قائد المجموعة بعد رحيل الشهيد مصطفى أبو هاشم وكان الاستدعاء بتلغراف من كلمتين (إجمع اللعيبة) وتجمعنا يوم ٢ اكتوبر وطلبت منا القيادة إجراء بعض التدريبات التنشيطية ثم فوجئنا يوم ٦ اكتوبر بعبور الجيش للقناة وكنا نبحث عن دور لنتوج به أعمالنا طوال حرب الاستنزاف وحدث يوم ١٦ اكتوبر أن إتصلت بنا القيادة لنستعد وجاءوا لنا بالصواريخ ونحن لا نعلم السر وراء كل هذا ثم فوجئنا بعدد من (الإبل) لنحمل عليها الصواريخ لنعبر بها إلى الشرق ليأخذها منا آخرون إلى ممر متلا وأذكر أن الشهيد مصطفى سليمان قال (يا خسارة يا ولاد حرب اكتوبر هتخلص ومش هنول الشهادة) ثم فوجئنا يوم ١٩ اكتوبر بمجموعة من مكتب مخابرات فايد تأتى إلى السويس

وتسائل عن المسؤل فى مكتب السويس وعلمنا منهم أن اليهود قد عبروا إلى غرب القناة وأنهم الآن فى طريقهم إلى السويس ووجدنا أنفسنا فى موقف غامض وقد اصبطحبهم محمود طه إلى مكتب مخابرات عتاقة وفى الطريق عرف منهم كل شىء عن تحركات اليهود وبدأنا على الفور نبحث عن سلاح ونوزع أنفسنا فى أكمنة وقد وجدنا ٢ مدفع (أربيجية) وأخذ أحدهما محمود عواد ومحمود طه والثانى أخذته أنا وأحمد عطيفى وكان معنا ست طلقات فقط ثلاثة لكل واحد وفى ليلة ٢٣ أكتوبر وجدنا أعدادا كبيرة من الجنود المصريين يدخلون السويس إما منسحبين وإما بتعليمات من قائد الفرقة ١٩ العميد يوسف عفيفى للدفاع عن المدينة. وإتفقنا على أن الطيران الاسرائيلى لو ضرب المدينة فى الصباح فمعنى ذلك أنهم ينوون دخول المدينة وسهرنا طوال الليل وذهب بعض الزملاء لصلاة الفجر مع الشيخ حافظ سلامة فى مسجد الشهداء الذى تلقى العديد من الإتصالات عن وجود اليهود حول الشركات وأصبح المسجد مركز لقيادة المقاومة.

اليهود أزلاء تحت أقدام السويس

بعد صلاة الفجر يوم ٢٤ اكتوبر ودعنا بعضنا البعض فقد لا نلتقى بعد ذلك وبالفعل لم نلتقى مع الشهداء حتى الآن وفى السادسة والنصف صباحا بدأ قصف الطيران الاسرائيلى على

المدينة وتمركزنا نحن في وسط المدينة في حي زرب وعند سينما رويال وفي الأربعين وسينما مصر وتوزعنا على أكمنة أنا وأحمد عطيفي وأشرف عبد الدايم وفايز حافظ أمين ثم محمود عواد ومحمود طه وعبد المنعم خالد وغريب محمد غريب وهكذا والساعة العاشرة صباحا هجم العدو على المدينة من أربعة محاور الاسماعيلية - السويس طريق القناة ثم الاسماعيلية السويس طريق المعاهدة - ثم طريق مصر السويس وأخيرا طريق البحر الأحمر السويس وكان تركيز العدو على شارع الجيش في وسط البلد فمر أولا على كمين محمود عواد عند قسم الأربعين حيث دخلت أولا أربع دبابات وست عربات مجنزرة ومثلما فعل الإنجليز في بورسعيد عام ٥٦ عندما رفعوا العلم الروسي على دباباتهم حاول اليهود تكرار نفس الموقف حيث رفعوا الأعلام الجزائرية والمغربية على الدبابات ولكننا لم ننخدع لأننا نعرف أنواع السلاح فالدبابة (الباتون) اسرائيلية ولا يمكن أن تكون غير ذلك المهم إشتبك محمود عواد ومجموعته مع الموجة الأولى للأعداء وضرب دبابتن لكن بإصابات غير مؤثرة ودخلت الموحة الثانية تتقدمها دبابة ثقيلة (سنتوريون) لتحتل المدينة وتنطلق إلى بورتوفيق حتى يتمكنوا من حصار الجيش الثالث من الدفرسوار وحتى بورتوفيق ولكن العناية الإلهية تدخلت لتنقذ الموقف حيث أن الموجة الثانية والثقيلة دخلت بثقة على إعتبار أن المدينة ليس فيها أية مقاومة فدخلوا

البلد ونحن نعرف كل حوارى مدينتنا وهم لا يعرفون شيئا وفى الدبابة السنتوريون كان السائق يرفع الغطاء بكل غرور وعلى الفور وضعت الدانة فى المدفع للشهيد ابراهيم سليمان . وكنا نقف وراء أربع نخلات أمام سينما رويال (وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى) فأطلق ابراهيم سليمان الطلقة الأولى لتنزع رأس السائق ويختل توازن الدبابة فتعاملنا معها ومع من فيها وحاولوا إستخدام المدفع ١٠٥ م للدبابة حتى ينسفونا فجرى محمود عواد ووضع قنبلة داخل برج الدبابة فإنفجرت ثم دخل بعد ذلك حامل جنود مصرى استولى عليه اليهود واسمه (طوباز) وهو معدة ثقيلة لا يمكن تفجيرها وجاء حتى سينما رويال ووضعت الطلقة للشهيد ابراهيم فأطلقها وكان هذا الطوباز يحمل أربعة براميل سولار قد تخرمت نتيجة اطلاق النار عليها أثناء مرورها داخل المدينة فإنهمر السولا على سلم الطوباز وعندما اطلق ابراهيم سليمان الطلقة الأخيرة حاول الجنود الاسرائيليون الهرب فكانوا ينزلقون على السولار فيختل توازنهم فأصبحوا هدفا سهلا لنا فقتلنا وأصبنا منهم الكثير. وفى نفس الوقت كان الزملاء عند البراجيل قد دمروا دبابة أخرى وبذلك إنغلقت المدينة على اليهود وبدأت المعركة الحقيقية ولا تسأل من الذى يقاتل فكل أبناء السويس يضربون اليهود بكل شدة وأمام ضراوة القتال فر اليهود مذعورين وتركوا خمس دبابات أمام قسم الأربعين ودخلوا القسم ليختبأوا فيه وفى

القسم حاولنا القضاء عليهم فسقط منا الشهداء مصطفى سليمان - فايز حافظ أمين - أشرف عبد الدايم .

اليهود يطلبون الاستسلام

وأمام ضراوة النيران طلب اليهود أن يستسلموا (فأرسلوا شاويش) من قوة القسم فجاء إلى وأرسلته إلى قائد المخابرات وكان اليهود قد اشترطوا أن يأتيهم الرد مع نفس (الشاويش) ولكن الرجل خاف أن يعود إليهم مرة أخرى وفشلت عملية التسليم فأشتعل الموقف والتحم الجميع الشعب مع الجيش مع المقاومة والكل يضرب فى إتجاه القسم ثم جاءنى مساعد شرطة وأخبرنى أن اليهود يريدون أن يستسلموا لى شخصيا ويبدو أنهم قد طلبوا ذلك لأنى كنت طوال الوقت أصرخ فيهم (على اليهود التسليم لأن القسم محاصر) وكان معى ضابط برتبة النقيب من الجيش والحق أننى ترددت فى الإقدام على القسم ولكن هذا النقيب شجعنى، وكان معه قنبلة، وحاولنا دخول القسم من الخلف فقذفوا علينا قنبلتين فإنبطحنا أرضا ولم أصب بشىء بينما امتلأ جسم النقيب بالشظايا ونادانى وروحه تصعد إلى السماء (يا أخ يا أخ القنبلة من غير فتيلة) فهذا الإنسان العظيم الذى حتى لم أعرف اسمه يحذرنى من القنبلة وهو مقبل على ربه شهيدا عظيما فأخذت القنبلة وقذفتها على القسم. وإلى الآن مازلت أسأل نفسى لماذا لم استشهد قبل زملائى ولكن هكذا قدر الله وما شاء فعل...

وإنسحب اليهود مذعورين

عندما جاء الليل هدأ الوضع بعض الشيء وأخبرنا محمود عواد أن التعليمات ألا نمكث في البيوت وأن نوزع أنفسنا في كماين كل اثنين في كمين وكان معي الزميل أحمد العطيفي وعند الفجر ذهبنا إلى قسم الأربعين فلم نجد إلا جثث اليهود ووجدنا فوسفور على الأرض من القسم وحتى منطقة الزراير (منطقة تجمع اليهود) وقد استطاعوا عن طريق هذا الفوسفور الإنسحاب من القسم ليلا وفي الصباح أعدنا تنظم عمليات المقاومة داخل المدينة وذلك بعد أن أصدرت القيادة المصرية مساء يوم ٢٤ بيانا عسكريا يؤكد دخول بعض المدرعات الاسرائيلية إلى السويس وأن القتال مستمر من بيت إلى آخر بالسلاح الأبيض وأن عدد قتلى اليهود ٢٨ وكان العدو الحقيقي للقتلى أكبر من ذلك بكثير. ويوم ٢٥ أراد اليهود أن يدخلوا المدينة مرة أخرى عن طريق الزيتيات وهو الطريق الوحيد الذي ظل مفتوحا أمامهم حيث أغلقنا بقية الطرق عندما دمرنا مدرعاته عليها وقد وقفنا أمام قصر الثقافة وأجبرنا العدو على الإنسحاب مرة أخرى ولأن عدد القتلى العدو كان يقرب من ٦٥ فقد تردد الاسرائيليون في ضرب المدينة أو حرقها على إعتبار أن الفرق بين عدد القتلى في البيان المصري وبين عدد المفقودين من الأسرى فخافوا على أسراهم وقد جمعنا جثث اليهود ووضعناها في حفرة بجوار المستشفيات ولم يكن لدينا أي أسير فقد قتلناهم جميعا..

قوات الطوارئ والتواطؤ

جاءت قوات البولس الدولى يوم ٢٨ اكتوبر ولم تجد من تقابله إلا الشيخ حافظ سلامة وذهبنا معه لنقابلهم ولأنى أجيد الإنجليزية فكنت أتحاور معهم وأنقل الحوار إلى الشيخ حافظ والزملاء وأثناء الحوار وجدت ضابط البوليس الدولى الذى حاورنى يرتدى سلسلة فى عنقه وفيها (نجمة داود) أي أنه يهودى وقد استطعنا خداع هؤلاء الضباط وحددنا المواقع التى نريدها وقد إستطعنا أن نأخذ أجزاء من الأرض كان الاسرائليون قد استولوا عليها بالفعل وعندما وجد هذا الضابط أننا نفس الأفراد الذين نلتقى به عند كل موقع غضب وسألنى إنت كوماندوز ثم أمرنى أن أنكس البندقية فرفضت وفجأة وضع المسدس فى رقبتى ليأخذنى كأسير وكنا قد أعددنا العدة لمثل هذا الموقف فناديت على الزميل عبد المنعم خالد وهو عملاق الجسم فخرج عبدالمنعم كالوحش ومعه محمود طه فتراجع هذا الضابط اليهودى وقد استطعنا عمل وقف اطلاق النار مع المراقبين الدوليين. وبعد ذلك استطعنا خطف صواريخ اسمها (لوز) من اليهود وأصبحنا نضرب بها اليهود كل يوم وكان ذلك يتم سواء بأوامر أو بدون أوامر وبعد ذلك بدأت مفاوضات الكيلو ١٠١ وبدأ فتح الطريق وجاء اليهود ليأخذوا قتلاهم.

بعض التكريم يكفى ...

إن مجموعتنا من فدائى منظمة سيناء العربية لم يكن لنا أية مطالب إطلاقا وقدمنا ما قدمناه دون أن ننتظر أى جزاء ولكن المؤلم ألا نستطيع الحصول على الأشياء العادية التي يحصل عليها كل الناس ولأننا جميعا من (الغلابة) فلم يعد لنا أى حق فى أى شيء وقد كنت ومعى كل زملائى نتمنى أن تحدد لنا المحافظة قطعة أرض على البحر تصبح لنا (شاطىء) نحن وكل الغلابة من أهل المحافظة فقد تحول الشاطىء إلى قرى وشواطىء للأغنياء فقط ولم نعد نعرف أين نذهب ولم نعد نعرف كيف نرد على أبنائنا عندما يسألوننا (هو إنتوا صحيح أبطال)!!

هوامش الفصل الأول

١- سكان السويس فى الأزمنة القديمة - السويس قلعة وتاريخ

إعداد سيد حفنى - مصطفى حراجى

٢- التطور الإنسانى والاقتصادي لمدينة السويس - السويس قلعة وتاريخ

إعداد سيد حفنى - مصطفى حراجى

- السويس ... إعداد مجموعة من

أساتذة التاريخ والجغرافيا

٣- قناة السويس الحلم والتاريخ - حرب العدوان الثلاثى على مصر

(خريف ١٩٥٦)

الجزء الأول - وزارة الدفاع - هيئة البحوث العسكرية

٤- سنوات هامة فى تاريخ السويس - السويس قلعة وتاريخ

إعداد سيد حفنى - مصطفى حراجى

هوامش الفصل الثانى

١- التاريخ النضالى لشعب السويس - السويس قلعة وتاريخ

إعداد سيد حفنى - مصطفى حراجى

- السويس .. إعداد مجموعة من أساتذة

التاريخ والجغرافيا

هوامش الفصل الثالث

١- معركة كفر أحمد عبده .. دنشواى السويس — السويس .

إعداد مجموعة من أساتذة

التاريخ والجغرافيا

- معركة كفر أحمد عبده -

حسين العش

- مجموعة الجرائد والمجلا ت التى صدرت فى ذلك الوقت

هوامش الفصل الرابع

١- السويس والعدوان الثلاثى — حرب العدوان الثلاثى على مصر

(خريف ١٩٥٦)

الجزء الأول - وزارة الدفاع - هيئة البحوث العسكرية

٢- السويس تواجه النكسه — مجموعة شهادات حية من أهل السويس

- مجموعة الجرائد والمجلات التى

صدرت فى ذلك الوقت

٣- حرب الاستنزاف — شهادات حية من أبطال السويس

٤- العبور وإسترداد الكرامة — شهادات حية من أبطال السويس

- مجموعة الجرائد والمجلات

التى صدرت فى ذلك الوقت

٥- السويس فى المعركة   اكتوبر ٧٣ - السلاح والسياسة

محمد حسنين هيكل

٦- الوقفة التعبوية الخاطئة   اكتوبر ٧٣ - السلاح والسياسة

محمد حسنين هيكل

هوامش الفصل الخامس

١- البرقية القاتلة   - اكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة

محمد حسنين هيكل

٢- الوقفة التعبوية - خطأ عسكرى قاتل

٣- ١٢ اكتوبر تطوير الهجوم أمام الثغرة   دقائق حرب اكتوبر - موسى صبرى

- اكتوبر ٧٣ - السلاح والسياسة

محمد حسنين هيكل

٤- ١٤ اكتوبر وفشل تطوير الهجوم

٥- ١٥ اكتوبرالغزالة تعبر إلى غرب القناة   - اكتوبر ٧٣ - السلاح والسياسة

محمد حسنين هيكل

٦- ١٦ اكتوبر السادات يؤكد أن الثغرة مسرحية

٧- ١٧ اكتوبر ٧٦٠ مدرعة اسرائيلية غرب القناة

٨- ١٨ اكتوبر سعد الشاذلى على الجبهة - وثائق حرب اكتوبر - موسى صبرى

٩- ١٩ اكتوبر السادات يعفى الشاذلى من منصبه

١٠- ٢٠ اكتوبر القوات الاسرائيلية فى جنيفة

١١- ٢١ اكتوبر الإندفاع إلى السويس - اكتوبر ٧٣ - السلاح والسياسة

محمد حسنين هيكل

١٢- ٢٢ اكتوبر قرار مجلس الأمن يشترط

تفاوض الطرفين

١٣- ٢٣ اكتوبر القوات الاسرائلية

تواصل الإعتداءات

هوامش الفصل السادس

١- معركة ٢٤ اكتوبر - مجموعة شهادات حية من أبطال معركة السويس

السويس مقبرة اليهود - وثائق حرب اكتوبر - موسى صبرى

- اكتوبر ٧٣ - السلاح والسياسة

محمد حسنين هيكل

- التقصير - إعداد سبعة

من الصحفيين الاسرائيليين

هوامش الفصل السابع

١- شهدت به الأعداء - التقصير - إعداد سبعة

من الصحفيين الاسرائيليين

هوامش الفصل الثامن

١- مستشفى السويس ملائكة الرحمة والبطولة - أبطال وشهداء في الصحة والدواء

أبو الحجاج حافظ

هوامش الفصل التاسع

١- هل قبل المحافظ تسليم المدينة لليهود؟ - خفايا حصار السويس

حسين العش

المراجع

١- السويس قلعة وتاريخ		سيد حفنى - مصطفى حراجى

٢- السويس		مجموعة من أساتذة التاريخ والجغرافيا

٣- معركة كفر أحمد عبده		حسين العش

٤- حرب العدوان الثلاثى على مصر (الجزء الأول)

وزارة الدفاع هيئة البحوث العسكرية

٥- هزيمة يونيو		اللواء طه المجذوب

٦- حرب رمضان (اكتوبر ٧٣)		اللواء طه المجذوب - اللواء ضياء الدين

٧- حرب اكتوبر مذكرات		الفريق سعد الدين الشاذلى

٨- مذكرات الجمسى (حرب اكتوبر ٧٣) المشير محمد عبد الغنى الجمسى

٩- المعارك الحربية على الجبهة المصرية		اللواء جمال حماد

(حرب اكتوبر ٧٣)

١٠- وثائق حرب اكتوبر		موسى صبرى

١١- اكتوبر ٧٣ - السلاح والسياسة		محمد حسنين هيكل

١٢- أمن مصر القومى فى عصر التحديات		محمد حافظ اسماعيل

١٣- التقصير	سبعة من الصحفين الاسرائيليين

١٤- خفايا حصار السوس		حسين العش

١٥- كان يوم صعب جدا (مسرحية)		د. هشام السلامونى

وشهداء فى الصحة والدواء — أبو الحجاج حافظ

.ب اكتوبر — صبرى الديب

الأرض — الكابتن غزالى

طه

– محمد سرحان

– عبد المنعم خالد

– محمود عواد

– حسن أسامة العصرة

– الشيخ حافظ سلامة

المحتويات

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب